

DAMAGE BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190390

UNIVERSAL
LIBRARY

خَلْدُونِ الْيَحْيَانِي

حسان بن ثابت



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



عنيت بشره

مَكْتَبَةُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بِدِمَشْقٍ

مطبعة التوفي بدمشق

١٣٦٢ هـ ١٩٤٣ م

حسان بن ثابت

سيرة

هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام من بني النجار من الخزرج ، يجتمع والغسانيين ملوك الشام ، والمناذرة ملوك العراق عمرو بن عامر بن ماء السماء جدّ القحطانيّين اليانين الذين نزحوا عن بلادهم ، في جنوب الجزيرة العربية ، واستوطنوا الشرق والشمال^(١) .

وُلد في يثرب ، في بيت عريق الأصالة ، شهيد الفعّال ، عذب المكرّمات ، يتوارث فيه الشمر الأبناء والأحفاد عن الآباء والأجداد^(٢) ؛ وعاش في بلدته ، كما يعيش المقدفون من أولاد الكبراء أليف اللين والعيش الهنيئ والبال الرخي ، بنعم بما يسم بيئته أن تقدمه له من الطيبات ، وبذلك^(٣) طلاوة المنادمة في مجالس الأنس على لمعة الخمرة في كؤوس الندمان ، وفئة^(٤) النشوة في أفواه القيان الحسان .

وكان ينفذو على الناس مزهواً بالنسب الرفيع والحسب المجيد والشعر الجيد . فإذا ما لحقته منهم قارصة أو ناله عدوان ، أو استمر الخصام بين قبيله وأبناء أعمامه من الأوس ، وسَلّ السيف واللسان ، ردّ عن حوزته العادين بالمجاء حيناً وبالاتخار في أغلب الأحيان .

ولما ألفت نفس حسان اللاهية الزاهية الطموح رَغْدَ هزب القليل

(١) نزل المناذرة اللخميون العراق ، وآل جنة النساينيون الشام ، والآوس والخزرج يثرب ، ومخزاعة مكة ، والآزد عمان . (٢) كان أبوه ثابت من أشرف بني الخزرج وشراهما ، وكان جده المنذر بن حرام سيداً في قومه وشاعراً وكرماً : حكم بين الأوس والخزرج ، في يوم سبيعة ، فأهدر دماء الخزرج واحتل دماء الأوس . وكان عبد الرحمن ابن حسان وولده سيد بن عبد الرحمن شاعرين أيضاً . (٣) لذة الرجل التي : وجده لذيقاً . (٤) الفئة : الصوت من الهاء والألف .

المحدود ، وملكته ، وطلبت التتويج له والمزيد منه — كما هو دأب طلاب اللهو والنعيم — مد شاعرنا عينيه إلى بلاط أقداره الفسانيين حيث العيش الضاحك والبساتين الغناء والخمور المعتقة والألبسة الفاخرة ؛ فشد إليها الرجال ، وودع دور بلده ، حتى حين ، ونزل قصور ملوك الشام .

قصد أول ما قصد — الأمير الفسافي جبلة بن الأهم حاملًا إليه شرقًا فآخرًا وجاهًا عريضًا ومنادمة حلوة وطبعًا سحرًا ولسانًا شاعرًا . فأحسن الأمير لقاءه ؛ وأجاد حسان الشكر والثناء ، وحظي عند ممدوحه حتى صار يقدو عليه سنةً وبقيم في أهله أخرى .

ثم تعود حياة الرفاهية في قصر الأمير ، وضعف رونقها في عينيه فطمع في عشرة الملك الفسافي نفسه : عمرو بن الحارث ^(١) ، وجعل يقد عليه في السنين التي لا يزور فيها جبلة ؛ فأكرم الملك العربي مشواه ، وجعله من خاصته ، وأجده ^(٢) وأفضل . وقد بلغ من عناية عمرو بن الحارث به أنه كان يخاف عليه — وهو الشاعر النائي — من التابغة وعلقمة وأشباهها من الشعراء الفحول ، ويمنعه ، متى حضروا مجلسه ، من الإنشاد ، مخافة أن يفضحوه .

« فاتفق أن قدم حسان على مليكه مرة فاعتاص ^(٣) الوصول إليه فقال للحاجب بعد مدة : إن أذنت لي عليه وإلا هجوتُ اليحن كلها ، ثم انقلبت عنكم ؛ فأذن له فدخل عليه فوجد عنده التابغة ، وهو جالس عن يمينه ، وعلقمة بن عبدة ، وهو جالس عن يساره . فقال له الملك : يا ابن القريمة ^(٤) ؟ »

(١) الأغلب أنه ولي الملك عام ٦٠٨ — ٦١٠ م (٢) أجده وأجدا عليه : أعطاه .

(٣) اعتاص : صعب . (٤) القرمة بنت خالد بن قيس الخزرجي أم حسان .

قد عرفت عيصك^(١) ونسبك في غسان ؛ فارجع فأرني باعث إليك بصلصة منية
ولا أحتاج إلى الشعر ؛ فأرني أخاف عليك هذين السبعين : النابغة وعلقمة
أن يفضحك • وفضيحتك فضيحتي ؛ وأنت والله لا تحسن أن تقول :
رِقاقُ النعال ، طيبٌ حجازاتهم يحيون بالرهجان يوم السباب^(٢) .
فأبي حسان وقال : لا بد منه ؛ فأنشد لاميته التي مطلعها :

أَسَأَلْتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ بَيْنَ الْجَوَانِي فَأَلْبُضِمْ فَحَوْمَلِ^(٣)
فلما انتهى قال الملك : هذا وأبيك الشعر ، لا ما يعلافي به منذ اليوم^(٤) .
هذه والله البتارة التي بترت كلَّ المدائح • (الأغاني ج ١٤ ص ٣) .

طاب لحسان المقام في الشام والتنقل في قصور الغساسنة متحتما بلهو الحياة ،
شاهداً تلك المجالس التي « نصطف فيها القيان بالبرباط^(٥) » ، وبند اليها
المغنون العرب من مكة وغيرها ، ويجلس فيها للشرب ، وقد فرشت بالأس
والياسمين وأصناف الياحين ، وضرب فيها العنبر والمسك في صحاف النضة
والذهب ، وأوقد فيها العود المندي في الشتاء ، وجعل فيها الثلج في الصيف • • •
هذا كله مع حلم وعن جهل ، وضحك وبذل من غير مسألة ، مع حسن
وجه وحسن حديث من غير خناسة ولا عريضة^(٦) • وظل شاعرنا
يتذوق أفواق النساء ، وينهل من سلسيل الرفاهية حتى اقتضى الفرس على
الروم في الشام ، وغلبهم وهدموا دولتهم (عام ٦١٣ — ٦١٤) وقضوا

(١) العيص : الأصل • (٢) رقاق النعال كناية عن أنهم ملوك لا يردون ناهلهم فلا
تلاظ • الحجة : معقد الأزار • ويوم السباب : يوم الثعابين عند النصارى وهو الأحد
الذي يسبق الفصح ؛ دخل فيه السيد المسيح وأورشليم فحياء الصبيان بأغصان النخل والزيتون •
والبيت من قصيدة للنابغة في مدح عمرو بن الحارث • (٣) الجواني والبضيع وحومل :
مواضع في حوران • (٤) علاه : سلاه • منذ اليوم : في هذا اليوم • (٥) البربط : آلة
موسيقية تشبه العود ؛ جمعها : برابط • (٦) واجع الأغاني ج ١٦ ص ١٥ •

على ملك آل جفنة ؛ ففرّ بعض أمراءهم إلى بلاد الروم ، والتجأ الآخرون ،
وعلى رأسهم جبلة بن الأيهم آخر ملوكهم ، إلى داخل الصحراء ^(١) ؛ وعاد
حسان إلى بلده وهو يسح عبدة وبكتم حسرة ، وقد أفاد من مقامه عند
الملوك محكمة وعبرة :

من يفرّ الدهر ؟ أو يأمته من قبيل بعد عمرو وحجر ^(٢)
وكانت الذكرى تهيجهم . من بعد ذلك ، بين الحين والحين ، فيذكر
عهدهم ويحيي ديارهم :

ديار ملوك قد أرام بغبطة زمان عمود الملك لم يتهدم ^(٣)
وما كان لبشغل عن الحنين إليهم وبكاء مجدم الضائع وعزم الحطم
لولا ان كانت يارب ، في ذلك الزمن ، تنهياً لانقلاب اجتماعي خطير ،
وبتألق فيها مراجع من عند الله منير . كان الرسول محمد ﷺ
قد هاجر إليها ونشر فيها نور الدين الجديد بعد أن أراد القرشيون
أن يطفئوه في مكة ، وأسلمت الأوس والخزرج ، فكانت حسان في
جملة المسلمين .

ألقي حسان في دين الإسلام صواباً وهدى وخيراً كثيراً . ألقي فيه
قوة حية وأخيرة تحجب إليه العيش بعد تلك الضربة القاصمة التي نزلت
بأحبابه الضائنين ، واكتشف له عن وجدٍ للحياة ناصح سامر حكيم ؛
فأحبه ونافع عنه وعن نبيه منافحة الصادق المخلص الأمين .

وزاده تعصباً للإسلام وتأييداً له أن هذا الدين الحنيف الرشيد
المادي إلى الخير وإلى الصراط المستقيم أزهر وذاع وانتشر — أول ما أزهر

(١) امرأه غسان لولده ؛ ترميز جوزي وذريق ص ٢٥٠ . (٢) عمرو بن الحارث وحجر
ابن الصمان أخو عمرو بن الحارث . والبيت في الديوان ص ٢٠٥ . (٣) الديوان ص ٣٨٨ .

وذاع وانتشر — في قلوب الأنصار من الأوس والخزرج وعقولهم ؛ وأنه عزّ يسوفهم وأسنتهم ، وبأن للناس فضله وهده بدعوام ونصرتهم . فكان كلما كسب معركة ، أو أضاف محمّدة ، وازداد قوة ومناعة ، ازداد حسان وقومه به اعتزازاً ، وبنصرتة افتخاراً ، وفرحوا بما آتاهم الله من فضله وفضلهم به على القرشيين العدنانيين منافسيهم الأقدمين .

وهكذا أمد الإسلام شاعرنا الفخور المتباهي بمعين من الفخر جديد ، ونفع من شعره روحاً حياً وعزماً قوياً ، وضمن له حياة خصيبة طويلة . فلا غرو إذا وقف شعره ، في هذا العهد على امتداح الإسلام والدعوة له ، وتمجيد وقائع المسلمين وبطولاتهم الشاهدة في الدفاع عن بيضة الدين ^(١) ، ورثاء شهدائهم ^(٢) ، وتحريض القبائل الكافرة بعضها على بعض بأمر الرسول ^(٣) وذكر معتقدات المؤمنين ^(٤) . ومع أن حسان كان يؤثر في هذا الدور الافتخار الطويل على المهجاء الشديد في الرذ على الذين كانوا يهجون الإسلام وأنصاره من البثربيين ، ولا يذكر في الأبيات القليلة التي كان يقولها في هجائهم إلا المعنى المهذب واللفظ المعيف ، فلقد كان لهاجرون المسلمون بتأذون منه في سرائر نفوسهم ؛ وينفرون منه حين يسمعون ما قاله في أقاربهم المكيين .

وكأنما وجدت حينذاك عوامل أخرى غير التنافس القديم بين مكة ويثرب ، وغير هجائه للقرشيين زادت هذا النفور وقوته ، وجعلت أبا الوليد يتسرع بتهديق حديث الإفك واتهام صفوان بن المعطل القرشي

(١) الشادة : الدهشة . بيضة الدين : ساحته وسماه . والقصائد المقتولة في هذا النرض ،

الصفحات التالية من الديوان : ١١ ، ١٢٠ ، ١٨٧ ، ٢٢٣ ، ٣٣٢ .

(٢) الديوان ص : ٣٨ و ٥٣ و ١٧٨ و ١٨٢ و ٣٢٩ و ٣٣٦ . (٣) الديوان ص : ٢٢٠

و ١٠٦ و ١٦٢ . (٤) الديوان ص : ٣١٩ .

بعائشة أم المؤمنين ، ويقول ، حين كثر عدد المهاجرين إلى المدينة من
المكيين قصيدته التي مطلعها :

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا وابن القُرْبعة أمسى بيضة البلد^(١)

« فلما قال هذا الشعر اعترضه صفوان بن المطلب فضربه بالسيف ؛
فأعلموا النبي ﷺ فقال لحسان : أحسن في الذي أصابك ! فقال : هي لك^(٢) .
فأعطاه النبي ﷺ عوضاً قصيرَ برحاء^(٣) ، وصيرين أختَ مارية القبطية زوج
الرسول ، فهي أم عبد الرحمن بن حسان . » (التنبية على أمالي القاضي
للبيكري ص ٣٦) .

لا ريب أن النبي الكريم ﷺ أستاذ من أن حسان نفس عليه إسلام قومه
وأفصح بالفاحشة في حديث الإفك . لكنه غفر له زلتيه لتوبته واعتذاره
إلى عائشة بقصيدة موضحة^(٤) ، وانصرافه عن التعرض للمهاجرين ، وحسن
بلائه في الرد على المهاجرين المنفحذين من أعداء الدين .

وكان ذلك بعد غزوة الخندق ، حين قويت شوكة الإسلام ولم يعد
يسم المكيين مهاجمة المسلمين ؛ فاستعاضوا عن حربهم بالسنان بحرب
اللسان ، وسبهم وشتمهم وأفحشوا لهم بالقول وصلقهم باللسنة حداد .

« روي أن رسول الله ﷺ لما انهزم المشركون يوم الأحزاب^(٥) وانتهى
إليه شعر أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، شق عليه وقال : إن
المشركين لن يغزوك بعد اليوم ؛ ولكنكم تغزونهم وتسمعون منهم أذى ،
ويهجونكم ؛ فمن يحيي أعراض المسلمين ؟ فقال عبد الله بن رواحة

(١) الجلابيب: الثوب الواسع . وكان المكيون يرفون في ثوب بجلابيبهم . وبيضة البلد : الحابل الذكر .

(٢) أي صفتت إكراماً لك . (٣) قصر في يثرب . (٤) الديوان ص : ٣٢٢

(٥) غزوة الخندق .

فقال : أنا ؛ فقال : إنك لحسن الشعر ؛ ثم قام كعب بن مالك فقال : أنا ؛ فقال : وإنك لحسن الشعر ؛ ثم قام حسان فقال : أنا ؛ فقال : نعم اهجم أنت ؛ فإنه سيعينك عليهم روح القدس . وأرى حسان الرسول لساناً طالما افتخر به ، ف ضرب به أرنبته^(١) ثم قال : والذي بعثك بالحق ؛ ما يسرفني به مقول^(٢) بين بصرى وصنعا ؛ ولو أن لساناً فري الشعر لفراه^(٣) . فسأله الرسول : كيف تهجوم وأنا منهم ؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي ؟ فقال : والله لا سئلك منهم كما سئل الشعرة من العجين . فقال له : ائت أبا بكر فإنه أعلم بأناسب القوم منك ؛ فكان أبو بكر يقفه على أنسابهم ويقول له : كف عن فلانة وفلانة واذا كر فلانة وفلانة ؛ فقال حسان حينئذ قصيدته التي منها :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بيت محزوم ، والدك العبد
وأنت زعيم نبط في آل هاشم كانيط خلف الراكب القدح الفرد^(٤)
فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان قال : هذا كلام لم يغب عنه ابن أبي قحافة^(٥)
(الأغاني ج ٤ ص ٧ وج ١٥ ص ٢٨ وزهر الآداب ج ١ ص ٢٥) .

أضحى حسان ، من بعد ذلك ، لسان الإسلام الشاعر ، بدفع عنه ، ويشهر مناقبه ، ويفتخر بالانتصار له والكفاح عنه ، ويرد على من كان يهجو من المشركين بقرينات مثل غريابهم ، ويستخدم - كما كانوا يفعلون - القول المقذع والمنطق المجر .

ولم ينقطع هذا التهاول الشعري المنهك ؛ بينه وبين شعراء الكفار ، إلا بانتصار الدين الحنيف ودخول خيالة المسلمين مكة غالبين . عندئذ عاد أبو عبد الرحمن إلى صهرته الأولى بمدح الرسول والمسلمين ويرثي موتاهم ، ويهجو الفلول الباقية من المشركين ؛ ويفتخر بأنه كان هو وقومه من السابقين إليه

[١] الأرنبة : طرف الأنث . [٢] المقول : اللسان . [٣] فراه : قطعه .

[٤] الديوان ص ١٦٠ والرنيم : المدعي المستلحق بقوم ليس منهم . وناط الرجل الشيء : هلكه ؛ والراكب يلقى قدسه في آخر رحله . [٥] أبو بكر الصديق .

خدمة الإسلام . وكان النبي الكريم ، إذا قدمت عليه وفود العرب بشعرائها وخطبائها وتكلمت بين يديه ، يستدعي بعض خطباء المسلمين للرد على خطبائهم ويستدعي حسان بن ثابت للرد على شعرائهم . ومن أجل ردود حسان وأبلغها قصيدته التي قالها مجيباً الزبرقان بن بدر شاعر وفد تميم والتي مطلعها :

إن الذوائب من زفير وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تنبؤ^(١)

ولقد كانت هذه القصيدة من جملة الدواعي للإسلام في تميم .

لبث حسان يناضل أعداء الدين حتى لم يبق منهم ، في جزيرة العرب ، صائح . حينئذ شعر بانتهاء العمل الذي ندب له ، وأدركه الوهن بعد شدة الخوض في يم الحياة ، وعرف أن شهرته الشعرية الساطعة قد آذنت بالرحيل ، وخصوصاً حين انتقل النبي العظيم إلى الرفيق الأعلى وبات هم الخلفاء الراشدين من بعده ، جمع كلمة المسلمين وإزالة المنافسة بين الأنصار والمهاجرين ، وطمس كل ما يبعث الإحزن التديمة التي غطاها الإسلام .

« سرّ عمر يحسان يوماً وهو يشد الشعر في مسجد الرسول عليه السلام فقال : أرغاه كرهه البعير^(٢) » فقال حسان : دعنا عنك يا عمر ! فوالله لتعلم أني كنت أشد في هذا المسجد من هو خير منك . فقال عمر : صدقت ! وانطلق . »

ودعا إلى أقول نعيم حسان أيضاً نزول الشعر عن المكانة السامية التي كانت له في ذلك العصر ، وتبدل نظرة الناس إليه^(٣) ، وانصرف بهم عنه إلى التفقه بالدين والاهتمام بالفتوح الإسلامية الجبارة المحمّدية للفكر ، في ذلك الحين .

[١] الذوائب : السادة . وهر بن غالب بن النضر بن كنانة أصل قريش . وإخوتهم في الإسلام : الأنصار . [٢] رُغاه البعير : صوته إذا ضج . [٣] كان حسان وكعب بن مالك يارضان القرشين الكفار بجل أنوفهم ، بالوائع والآيام والمآثر ويعيرتهم بالمتاب . وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر . فكان في ذلك الزمان ، أشد القول عليهم قول حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة . فلما أسلموا وقبوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة الأثافي ج ٤ ص ٤ .

وبلغ من زهد القوم بشعر حسان أنه كان ينشدم فلا يسعون ، ويبدل الجهد ، على هرمه وعجزه وذهاب بصره ، في ملك أذهانهم فلا يصنفون . « ولقد صرَّ الزبير بن العوام يجلس من أصحاب رسول الله ، وحسان ينشدم من شعره وهم غير نشاط لما يسعون منه . فساله الزبير قائلاً : مالي أراكم غير آذنين لما تسعون من شعر ابن الفريسة ؟ فلقد كان يعرض لرسول الله فيحسن استماعه ، ويميز عليه ولا يشغل عنه بشي . » (الأغاني ج ٤ ص ٧) .

وزاد بعض المتدبرين فأخذ يحاسبه على معانيه الحساب العسر . « قال ابن عمر حين أنشد قول حسان :

يا أبي لي السيفُ واللسان وقوْمٌ لم يضاءوا كلبدة الأسد^(١)
أفلا قال : يا أبي لي الله ؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله . » (ذيل الأمازي ص ١١٢) .
وكانما اغتنم خصمه القداماء فرصة انصراف الناس عن شعره ، فأنكروا قول رسول الله له : اهجمهم ومهلك روح القدس . فكان « يذهب إلى أبي هريرة ويقول له : أنشدك الله^(٢) ! أسمعت رسول الله يقول : أحب مني ! ثم قال : اللهم أبدء بروح القدس ؟ ! فيقول أبو هريرة : اللهم نعم ! » (الأغاني ج ٤ ص ٣) .

عاش حسان الغرير العاجز سفيه الأخمدة عيشة اليائسين المكسورين . فلما قتل عثمان ازدادت نقمته على الناس ورناء صرات وهدّدم وتوعددم « ولما احتدم الخلاف بين أنصار علي وأنصار معاوية كان من المثالية الذين يقدمون بني أمية على بني هاشم ، يقولون : الشام خير من المدينة » (الأغاني ج ١٥ ص ٢٩) . وكان أحب الأمور إليه ، في آخر عمره ، بعد أن منعه حكمة الخلفاء الراشدين من ذكر أعماله وأحاجيه في الإسلام ، وملكته الحياة وأفنى جسده السقام ، أن

[١] ضامه : ظلمه . لبدء الأسد بكسر الهمزة وضمة : الشر المجتبع حول رقبته .

[٢] . أنشدك : أنشدك واستعطك .

بذكر أيام العز والشباب في الجاهلية وليالي الشرب والمرح في قصور الغساسنة .
وكان إذا عاودته تلك الذكريات العذاب ، يحن إليها ويهتز له كراها وببكي
طليها . وقد عرف الناس منه ذلك ، ولا سيما ابنه عبد الرحمن ، فكان إذا
حضر أبوه مجلس لمو « وشق وجوده على فتيان فريش ، طلب عبد الرحمن من
القينة أن تغني :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم فبر ابن مارية الكرم المفضل
فبيكي حسان بكاء شديداً ثم ينصرف قائلاً : لعمري لقد كرهتم مجلي
سائر اليوم ^(١) » (الأغانى ج ١٦ ص ١٦)
مات حسان رحمه الله في خلافة معاوية .

عمره

أجمع المؤرخون العرب على أن حسان عاش مائة وعشرين سنة ؛ ستون
منها في الجاهلية وستون في الإسلام ، وذكر بعضهم أنه ولد قبل مولد
النبي بضع سنين . وروى آخرون أنه مات سنة (٥٠) هـ في خلافة
معاوية بن أبي سفيان .

غير أن المستشرق الشهير فولكه لا يعتقد أنه عاش هذا العمر الطويل ؛
وبطل وم قدماء المؤرخين بأنهم التمس عليهم أعمار ملوك غسان وسلسلهم ،
ويرجع أن يكون حسان اتصل ببلاط بني جفنة حوالي سنة ٦١٠ م .

يقول فولكه : مات النعمان بن المنذر الغساني سنة (٥٨٣) م ثم تلاه
الملك الحارث الأصغر ثم الحارث الأصغر ابنه أبو 'جمر النعمان' ابنه
ثم أخوه عمرو بن الحارث الذي اتصل به حسان . وهؤلاء كلهم ماتوا

بين ٥٨٣ - ٦١٤ م . فمن المقول أن يكون عمرو بن الحارث قد ولي الحكم سنة (٦٠٨ - ٦١٠) م واتصل به حسان في تلك المسدة . وإذا عرفنا أن حسان مات سنة (٦٦٠) م وجدنا أنه مات بعد اتصاله بالفسانة بخمسين سنة . فلو اتصل بهم وعمره ثلاثون لمات ابن ثمانين . ويختتم المستشرق كلامه بقوله : إن في قصائده التي رثى بها عثمان لقوة لا تكون في الشيخ الفاني الذي جاوز المائة ^(١) . »

أقوال النقاد في شعره

نقد العرب في شعر حسان فريقان : فريق يمدحه ويرفع من ذكره وفريق يذمه ويحط من قدره . أما المادحون فيذكرون أن النابغة « قدم سوق عكاظ فتقدم قيس بن الخطيم الأوسي وأنشده قصيدته التي مطلعها : (أنعرف رسماً كاطرأ المذاهب) حتى فرغ منها فقال له النابغة : أنت أشعر الناس باین أخي . قال حسان : فدخاني منه ^(٢) وإني ، في ذلك ، لأجد القوة في نفسي عليهم . ثم تقدمت فجلست بين يديه فقال : أنشدني فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلم . قال حسان : وكان يعرفني قبل ذلك . » (الأغانى ج ٣ ص ١٦٢) . ويذكرون أيضاً قول الرسول عليه السلام : أسرتُ عبدالله بن رواحة فقال وأحسن ، وأسرتُ كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأسرتُ حسان بن ثابت فثنى واشتفى (الأغانى ج ٤ ص ٦) . وقوله عليه السلام في موضع آخر : إن الله ليؤيده بروح القدس ماناخ عن نبيه . (زهر الآداب ج ١ ص ٢٥) ؛ ويروون أن الأعشى شهد له بالشاعرية وأن الخطيئة قال حين احتضر : أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب حيث يقول :

[١] تراجع للتوسم كتاب : اسماء الفسانة لنيودور تولدك . - تريب جوزي وزديق ج ٢٥ . بيروت ١٩٣٣ [٢] أي خنت .

يُفْشَوْنَ حتى ما تهرُ كلابهم لا يـألون عن السواد المقبل^(١)
ويوردون كذلك قول عمرو بن العلاء الذي يرى حسان أشعر أهل الحضر ؛
وقول أبي عبيدة : فضل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار
في الجاهلية ، وشاعر النبي في النبوة ، وشاعر البين كلها في الإسلام ؛
وقوله أيضاً : اجتمعت العرب على أن حسان أشعر أهل المدر ؛ وقول
الأصمعي : حسان أحد فحول الشعراء ؛ وموافقة أبي الفرج الأصبهاني له
في هذا الرأي .

وأما اللدانون فيدعون أنه قيل له في الجاهلية ، حين وفد على النعمان
ابن المنذر ليسأله إطلاق بعض الأسرى من قبيلته « فإن أنت خلوت به
وأعجبته فأنت مصعب منه خيراً ؛ وإن رأيت النابغة فاطمن ؛ فإنه لا شيء لك »
(العقد الفريد ج ١ ص ١٧٥) ؛ وأن الملك عمرو بن الحارث الغساني
كان يخاف عليه من النابغة وعاقبة ، وينسبون إليه أشعاراً ضعيفة ليحطوا
من قيمة شعره^(٢) ؛ ويزعمون أنه أشد النابغة في عكاظ قوله :

لنا الجفونات الغرّ يلحن في الضحى وأسباننا بقطرن من نجدة دسا^(٣)
ولدنا بني الضنقاء وابني محرق فأكرم بنا خلاً وأكرم بنا ابنما
فقال له النابغة : ولكنك أقللت جفانك وأسيفاك ، ونحرت بين ولدت
ولم تفخر بين ولدك ؛ وقالت الخنساء : نقول (يلحن بالضحى) وكان حقه
أن يسكون بالدجي ، ليكون أكثر طُرّاًقاً ؛ وقلت (الغرّ) وكان حقه
(البيض) و (بقطرن) وكان الأجل (إسبان) أو (يجيرين)^(٤) .

[١] « هرّ الكلب » . نبح ، والسواد : الشبح ؛ « إذا الفت الكلاب الناس كفت من أنهرهم » .
[٢] قال الأصمعي : تنسب لحسان أتياء لا تصح عنه . [٣] الجفنة : القصعة الكبيرة .
[٤] اتقه بعض النقاد إلى فساد هذا النقد المروي في أكثر كتب الأدب . قال قدامة
ابن جعفر في كتابه « نقد الشعر » : على أن من أنعم النظر علم أن هذا الرد على حسان =

وما يرويه هؤلاء النافذون المصوم قول أبي حاتم : تأتي لحسان أشعار
لبنة ، وقول الأصمعي مرة : الشعر نكد يقوى في الشر ويسهل ، فإذا
دخل في الخلد ضعف ولان . هذا حسان فحل من غول الجاهلية ، فلما جاء
الإسلام سقط شعره . وكأنهم أرادوا دعم كل هذه الأقوال فذكروا عن
حسان نفسه أنه قيل له : لآنَ شعرك يا أبا الحسام فقال : إن الإسلام
ليحجز عن الكذب وإن الشعر ليزينه الكذب .

فالنقاد إذن في شعر حسان فئتان متباعدتان : فئة تمجده بالقصيدة ،
وفئة تنظر إليه نظرتها إلى شاعر فحل كبير . ونحن لا نستطيع أن نتجاوز
لفريق دون فريق أو نفضل رأياً على رأي ، أو نعترف للشاعر قدره إلا بعد
أن ندرس شعره .

من النابغة كان أو من غيره ، خطأ ، وأن حساناً مصيب . فمن ذلك أن حساناً لم يرد بقوله
(النر) أن يحمل الجفان بيضاً لكن (المشهورات) كما يقال : يوم آخر ويد غمر أو الخ . . .
وروى صاحب الألفاظ (ج ٨ ص ١٨٦) . أن أحد الأنصار كان يأتي الفرزدق ويسأله
هل يحسن أن يقول (لنا الجفانت النر) . ويذكر الآيات متأخراً . وقال الأستاذ
طه أحمد إبراهيم في كتابه (تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ١٩) : أما أن يسأل
حسان من بيت القصيد في كلامه فيجب بأنه (لنا الجفانت النر) . فينال النابغة أو تنال
لحنساء طعناً على البيت وتجريماً له على النحو الوارد في بعض الكتب فذلك ما لا يستطيع
أحد جاد أن يؤمن به .

دراسة شعر حسان

ألف حسان بلهنية العيش ولذة النعيم منذ حداثة فأحب الحياة حباً جما .
أحب منها ناحيتها الرخوة اللاهية ، وأشبع النفس من مباحها ولذاتها ،
فصبا وغازل القيان ، وجدد وأشعر قلبه فتنة الغرام ، وشرب الراح مع
الندمان ، بين الآس والباسمين والرياحات . وتغنى بهذه الحياة الباسمة ،
في شعره فتغزل ونعت الخمر ووصف مجالس اللهو والشراب .
وعنت له ، في أسفاره ، المناظر الشعرية المختلفة : مناظر اطلال
الأحبة الهامدة ، والسماء الصاخبة الباكية ، والنافاة المسرعة تقطع به المهامة ،
لوصفها الوصف الدقيق المفصل .

وكان زهوه الفطري وتيمه العظيم بآثر اجداده يدفعانه إلى الانتماء
دفناً ، في كل ملابسة ، وكل حين ، كما كانت حروب قومه الخوارج مع
الأوس ، وإخوانه للسلحين مع المشركين تضطرونه إلى ضروب الهجاء .
ولقد أحب حسان الرسول وملوك غسان وأمراءها وكثيراً من أفاضل الناس
فقدحهم ، وشهد وفاة بعضهم ومصرع بعضهم الآخر بأمر عينه فيكاهم ما أسعده
الدمع ، وراثم ما انتقاد له لرائاء .

لذا كانت أشبه الأغراض التي قال فيها الشعر : الغزل ونعت الخمر ووصف
مجالس اللهو والغناء ، والمشاهد الشعرية المتنوعة ، والافتخار والهجاء والمدح والرائاء .

الغزل

أحب حسان المرأة لأنوثتها ولأنها ، في المجالس اللاهية ، كالشمس في
الأيام الجميلة الصاحبة ، لا بد منها . فتغزل بها في مطالع قصائده وأواسطها
غزلاً فيه صباة وفيه رقة

أنفذه ! ما بيني وبينكم صرمت ، وما أحدثت من هجر ^(١)
 جودي ! فإن الجود مكرمة وأجزى الحسام ببعض مايفري ^(٢)
 وحلفت : لا أناسكم أبداً مارت طرف العين ذو شفر ^(٣)
 وحلفت لا أنسى حديثك ما ذكر القوي لذآذة الخمر ^(٤)
 ولأنت أحسن - إذ برزت لنا يوم الخروج بساحة القصر
 من دررق أغلى الملوك بها مما توب حائر البحر ^(٥)
 وفيه أحياناً وصف حمي واستجابة للجسد :
 هما المطر والفراش وبملو ها الجين ولؤلؤ منظوم ^(٦)
 لو يدرب الحوئي من ولد الذر ر عليها لأندبته الكاوم ^(٧)
 لم تفقها شمس النهار بشيء غير أن الشباب ليس بدوم ^(٨)
 وكان شفاء ^(٩) هي التي ملكت عليه أمره ، وأشعلت نار الصباة في قلبه ؛
 فأكثر من ذكرها ، واتخذ في مخاطبتها لجة الصدق والإخلاص والشوق :
 إني ، ورب الخبيسات وما بقطعن من كل سر يجر جدد ^(١٠)
 ما ملحت عن غير ما عهدت ولا أحببت حي إياك من أحد ^(١١)
 لكننا لم نستطع أن نملأ وحدها قلبه فأحب غيرها أيضاً حباً جديداً
 وخاطبها خطاب الصدق والوجد والبقاء على العهد :

[١] الصرم : قطع الود . [٢] يفري : يقطع ؛ وهنا : يعل . والحسام لسانه .
 يقول : كافني لاني بعض ما يقول في مدحك . [٣] الشفر : منبت شر الجف . والمني :
 ما أطبق الجف العين . [٤] القوي : الضال المتقاد للهوى . [٥] أغلى الرجل القوي :
 جله غالياً . وتوب الرجل ابته : رماه وتهده . والمائر : المتلئ . والمائر هاهنا فاصل
 تريب . والآيات في الديوان ص ١٧٥ . [٦] القجين : الفضة . [٧] الحوئي : الذي
 أتى عليه حول ؛ والذر : الدل ؛ والكلاوم : الجراح ؛ وأندب الجرح الجسم : أثر فيه .
 [٨] الديوان ص ١٧٥ . [٩] قيل إنها يهودية ؛ وقيل : بل من خراة ؛ وقيل إنه
 زوجها وولدت له . [١٠] الخبيسات : الإبل المذلة ، والسر ينج : الأرض المفضلة ،
 والجديد : الأرض النليظة . [١١] الديوان ص ١١١ .

فإن تك ابلى قد فأتك ديارها وضفت بجاجات الفؤاد المتم^(١)
فاجلها بالث عدي ولا الذي بغيره نأي ، وإن لم تكلم^(٢)
ولا ضفت ذرعاً بالهوى إذ ضمنت ولا كُظ صدرى بالحدث المكتم^(٣)
ولا يستغرب هذا من حان ؟ فالنقى الذي بألف عشرة اللاهيات المغريات ،
والمنشيات المنشيات لا يقيم على حب واحدة منهن حيناً حتى ينقلب منها إلى
غيرها لينعم بفرحة التجديد ، ولقد التبديل :

رُبْ لموْ شهدته ، أمْ عمرو ! بين بيض نواعم في الرباط^(٤)
مع ندأى بيض الوجوه كرام . نهبوا بعد خفقة الأشراف^(٥)
لكيت كأنها دم جوف . عتقت من سلاله الأنباط^(٦)
فاحتواها في يمين لها الما ل ونادت صالح بن علاط^(٧)
ظل حولي قِيانه عازغات مثل آدم كوانس وعواط^(٨)
يظن بالكأس بين ثمر ب كرام . هددوا حر صالح الأنباط^(٩)
ساعة ثم قال : من بداد بينكم ، غدر سمعة الاختلاط^(١٠)
فاذا لم يكن حسان صادقاً في حبه لشعناه فلقد كان صادقاً في حبه لكل

- [١] نأتمك : بدت منك ، ضفت : بخلت ، والمتم : الذي برّح به الهوى وأضناه .
[٢] الحبل : الصلة المجازية : والرت : البالي ، والنأي : البعد ، وأصل تكلم : تسكلم .
[٣] ضاق بالأثر ذرعاً : لم يقدر عليه ، وكظ الصدر بالحدث : ابتلا حتى لا يطيق
السكمان . والأنبات في الديوان ص ٣٩٢ . [٤] الرباطة جمع ربطة وهي التوب الأبيض
الرفيق . [٥] الأشراف : نجوم في السماء ، وخفقتها : غايبها . وربما كان معنى الأشراف
هنا : الأرفال وأن ندامه الكرام نهبوا بد غايهم . [٦] اكليت الحرة الضاربة حرمتها
إلى سواد ، والسلافة : الحمر ، والأنباط : قوم سكنوا الشام . [٧] صالح بن علاط من
رؤساء سليم . [٨] الأدم : الظبا ، والكوانس : المسترة تحت الأنصان ، والواطي :
الراضات أيدين لتناول الأنصان . [٩] العرب : الشاربون ، والأنباط : بسط لها خل
رفيق . [١٠] بداد : موزعات مقدمات ، والاختلاط : فساد العقل من السكر ، يقول :
وزّع ابن علاط قِيانه على نداماد ولم يختلط عقله . والأنبات في الديوان ص ٣٣٦-٣٣٧ .

النساء ، إذ هن في عينيه كالخمرة ، متعة من متع اللهو ، وباعث من بواعث السرور ، بل كنفراً ما كان بفضل الخمرة عليهن ، فلا بكاد يصل ، في نعت محبوبته ، إلى وصف الرقيق وتشبيهه بالرحيق^(١) حتى يتروك التفضيل إلى الخمرة فيمدحها ويطيل :

فدع هذا ! ولكن من لطيفٍ يؤرقني إذا ذهب العشاء^(٢)
لشعائٍ التي قد تيمنته فليس لقلبه منها شفاء
كأن سبيته من بيت رأس يكون مزاجها غسل وماء^(٣)
على أنيابها أو طعم غَضٍّ من التفاح ، عصره الجناء^(٤)
إذا ما الأشربات ذكرن يوماً فهن لطيب الراح الفداء^(٥)
نولها الملامسة إن ألما إذا ما كان مفت أو لحاء^(٦)
ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسدأ ، ما يتهنئنا اللقاء^(٧)

وما كانت شعائ على دَلِّها وجمالها لتلبيه عن الكأس وإدامة السكر :
تقول شعائ لو تُفَيِّق من الـ كأس لأُفَيِّتْ مُثَوِّيَ العدد^(٨)
أهوى حديث الندمان في فلق الـ صبح وصوت المسامر الفرد^(٩)
ولقد بلغ حظها منه ، في النهاية ، مباحاً لا تحسدُها عليه النساء :
فأني تلاقيا إذا حلَّ أهلها بوادرٍ يمانٍ من غفاري وأسلما^(١٠)
سأهدي لها في كل عامٍ قصيدةً وأُقعدُ مكفياً يبيئوب مكرماً^(١١)

(١) الرقيق : الحر . (٢) يؤرقني : يذهب عني النوم . (٣) السبيته : الحر .
وبيت رأس : بلد . (٤) عصره : كسره وعصره ، والجناء : جني الفواكه وقطفها .
(٥) الراح الحر : (٦) ألما الرجل : وقع في اللوم ، والمفت : الفر ، واللعاء : السباب
(٧) نهيه اللقاء : زجره وردعه . والآيات في الديوان ص ٣ - ٤ . (٨) ألقى : وجد
(٩) القديم : الرقيق المسامر في الغرب ، والمسامر : الحديث المسلي في الليل ، والفرد : المنفي
والآيات في الديوان ص ١١٢ . (١٠) غفاري بن كنانة : رهط أبي ذر الغفاري .
وأسلم بن أضي بن حارثة من خزاعة . (١١) المكفئ : من عنده الكفاية من حاجاته .
والبيتان في الديوان ص ٣٦٩ .

ومعها يكن من أمر ؛ فلقد كان تعلق حسان بالنساء شديداً شدة تعلقه
 بحياة الخفض والنعم . فلا غرابة إذن أن نسمع في شعره ، عند تذكره
 لصويحاته ، في الجاهلية والاسلام ^(١) رنة الحنين الصادق إلى العهود الماضية
 والآفاق البعيدة ، ولا غرابة أيضاً أن بنعم غزله بذكر الأماكن الكثيرة
 التي هي كل ما بقي لعينيه من تلك الأيام السعيدة والصور الطاف :
 قد تعنى بعدنا عاذبُ ما به بادٍ ولا قارب ^(٢)
 غلته الريح نفسي به وهزيم رعدة واصب ^(٣)
 ولقد كانت تكون به طفلة مكورة كاعب ^(٤)
 وكلت قاي بذكرتها فالهوى لي فادح غالب ^(٥)
 ليس لي منها مؤاس ولا بد مما يجلب الجالب ^(٦)
 وكأني حين أذكرها من حميا قهوة شارب ^(٧)
 أكمدي غضب ذي نفر ؟ فلوى الأعراف فالضارب ^(٨)
 فلوى الخربة ، إذ أهلنا كل عسى ، سار لاعب
 لم تكن سعدى لتعصني قلما بُنصني صاحب
 فابك ما شئت على ما انتفى كل وصل متقض ذاب ^(٩)
 لو يرد الدم شيتا لقد رد شيتا دمك الساكب ^(١٠)

(١) الجار والمجور . تعلق بتذكره . (٢) تقي المكان : عا ودرس . وعاذب : اسم
 موضع . والبادي : الذهاب للبادية . والتارب : القادم . (٣) هفت الريح التراب حملته
 وذكرة . والهزيم : المطر الزهر . وانواس : اندام . (٤) طفلة : الناعمة . والمكورة :
 المدرجة الخلق ، السعيدة اقوام . والكاعب : انتفاء في أول عهد بالياب . (٥) الذكرة :
 الذكرى . والقادح : المرقع قلة . (٦) المؤاسي : السلي ولترتي . والجالب : هنا القدر
 ولا بد مما يأتي به القدر . (٧) الحميا : سورة الشراب وديده سار في الروق . والقهوة :
 الجمر . (٨) ذو نفر ولوى الأعراف والضارب ولوى الخربة : مواضع . (٩) الايات
 في الديوان ص ٣٤ — ٣٦ وغزل حسان في الصفحات : ٢ — ١٨٤٣ — ٣٥٤٢١ —
 ٤٣٦ — ١١٠ — ١١٢ — ١٢٥ — ١٢٧ — ١٩٨ — ١٩٩ — ٢٣٤ — ٢٧٢ — ٢٨٤ — ٣١٣
 ٣٦٢ — ٣٧٦ — ٣٧٧ — ٣٨٠ — ٣٨١ — ٣٨٨ — ٣٨٩ — ٣٩٢ — ٤١٢ — ٤١٥ .

نعت النمر

افتن حسان بالنمرة لأنها من متطلبات حياة اللهو والمرح ، فوصفها
دقيق الوصف ، وبعدها شيق التمجيد ، وافتن في وصف أثرها في الأجساد
وفي النفوس :

كَأَنَّهَا فَاهَا تَنْفُ بِبَارِدٍ فِي رَصْفٍ تَحْتَ ظِلَالِ الْغَامِ^(١)
شَجَتْ بِصِهَاءِهَا سُورَةَ مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ عُنُقَتْ فِي الْخِيَامِ^(٢)
عَتَقَهَا الْهَانُوتُ دَهْرًا فَقَدْ سَمَّاهَا قَرْطُ عَامِ فَعَامِ^(٣)
نَشَرَهَا صِرْفًا وَمَمْزُوجَةً ثُمَّ نَفَعْنِي فِي بَيْوتِ الرُّثَامِ^(٤)
تَدَبَّ فِي الْجِسْمِ دَيْبِيكًا كَمَا دَبَّ دَيْبِي وَسَطَ رُمَاقٍ هَيَامِ^(٥)
كَأَنَّهَا إِذَا مَا الشَّيْخُ وَالْيَاسُورُ تَرَدَّى بِوَدَاءِ الْغَلَامِ
مِنْ خَمْرِ يَسَانٍ تَخْذُهَا تَرْيَاقَةً تُسْرِعُ فِتْرَ الْعِظَامِ^(٦)
يَسْمَى بِهَا أَحْمَرُ ذُو مُوْنَسٍ مَحْلَقُ الذِّفْرِ شَدِيدُ الْحَزَامِ^(٧)
أَرُوْعٌ لِلدَّعْوَةِ مُسْتَجَلٌّ لَمْ يَنْتَهِ الشَّانُ ، خَفِيفُ الْقِيَامِ^(٨)

وأحبها حباً مفرطاً لأنها تخلق شاربها خلقاً جديداً ، وتصلح الخامل

البخيل رجلاً حياً كريماً (! ؟)

-
- (١) التنب : التمدد البارد بين الظلال ، لاصحبه الشمس . والرصف : المجاورة المتواصفة .
(٢) شجت : مزجت . والصهاء : الحر . والسورة : المعدة والقوران . وبیت رأس : موضع .
(٣) الهانوت : دكان بائع الحر . والقريط : مجاوزة الحد . (٤) الصرف : التي لم تنزع
بالماء . (٥) الدبي : الجراد . والرياق : الأرض المنبسطة البينة التراب . والهيام :
ما لا يناسك من الرمل . (٦) يسان موضع في فلسطين . والترياق : الحر . والترياق في
الأصل : الدواء ضد السموم . وفترت العظام : فترت : لانت ، فاصلها . (٧) أحر : غلام
غدير عربي . والمحلق : الذي في أذنه حلقة . والذفرى : العظم الذي خلف الأذن ، وهنا
الأذن . (٨) الأروغ : الذكي . والشان : الأمر أو الحال . أو لعله مفرد (شؤون
الحرمة) وهي ما دب منها في عروق الجسد . والأبيات في الديوان ص ٣٨١ .

ومسترقِ النخامة مستكين لوقع الكاس مخنلس البيان^(١)
 حلفت له بما حجت قوبش^(٢) وكلّ مُشعشع^(٣) مـ الخمرآن^(٤)
 لتعطحين وإن أعرضت عنها ولو أني بجيئته سقاني^(٥)
 فطافت طوفتين ، فقال : زدني ودبت في الآخادع والبنان^(٦)
 فلم أعرف أخي حتى اصطبحنا ثلاثاً ، فأنبري خذم العنان^(٧)
 فلان الصوت فأنبسط بداء وكان كأنه في الغل عان^(٨)
 وراح ، ثبابه الأولى سواها بلا بيع (أميم) ولا مهان^(٩)
 وزاده بها شفتاً أنها كانت تحقق له ، في عالم الوم والخيال كل الأمان
 والרגائب التي عجز عن تحقيقها واقع الحياة :

ونشرها فتتركنا ملوكاً وأسدأ ما ينهننا اللقاء^(١٠)
 وقد بلغ من تعلقه بها انه كان إذا صحا من سكره يرى الحياة
 شبيهة بالموت :

ومسك بهداع الرأس من سكر ناديته ، وهو مغلوب ، فعداني^(١١)
 لما صحا وتراخى العيش قلت له إن الحياة وإن الموت مثلان^(١٢)

(١) النخامة : ما يدمه الإنسان من صدره . ومسترقها : مخفيها . يريد أنه جاف الحلق .
 والمستكين : الخاضع الذليل . والمخنلس البيان : المأزوم الإيضاح عما يريد . وقد كانت
 كل هذه الصفات لنديمه ، قبل الشرب . (٢) المشعشع : المزوج . والآتي : الحاضر للبيان .
 (٣) اصطبح : شرب الخمر صباحاً . والحياة : الحالة . يقول : لو كنت بحالته الحرة لسقاني .
 (٤) الآخادع : عروق في الرقبه . والبنان : الأصابع . فردها : بناته . (٥) أنبري :
 بداء . خذم العنان : يقطع الزمام طليق بقول ما يشاء . (٦) النل : التيد . والناي :
 الأسير . (٧) أي وهب ثيابه الخارجية ولم يتركها ليع أو إهانة الأبيات في الديوان
 ص ٢١١ — ٢١٢ . (٨) الديوان ص ٢ . (٩) الهداع : ألم الرأس ودوارده .
 والمغلوب : من غلبته الحرة . وعداني : أجابني قائلاً : فذلك نفسي . (١٠) تراخى العيش :
 ضعف وقتر (ترك السكر) .

فاثرب من الخمر ما آتاك مشربه واعلم بأن كل عيش صالح فان^(١)
ولعله كان يرى في شربها رمزاً لتحدثه وورعته وفارقاً لهذه من هؤلاء
الأعراب الذين يشربون اللبن وأولئك الذين لم يألوا منادمة الطبقة الرفيعة ،
ولم يتعودوا صحبة الأماجد الكرام (١٢)

لا أحدث الخدش بالنديم ولا يخشي جلبي إذا انشبتُ بدي^(٢)
ولا نديمي العض البخيل ولا يخاف جاري ما عشتُ من وبدي^(٣)

* * *

إني حلفتُ ميمناً عهد كاذبة لو كان للحارث الجفني أصحاب^(٤)
من يخدم غسان مسترخ حائلهم لا يُبغقون من المعزى إذا آبوا^(٥)
ولا يُذادون محرراً عيونهم إذا تُخضر عند الماجد الباب^(٦)
كانوا إذا حضروا شيب العقار لهم وظيف فيهم بأ كواس وأكواب^(٧)

الوصف

الطبيعة غابية مفتانة ؛ مهما ان يتحدث عنها الناس ؛ وهي ، لمجزؤها من
المنطق ، تستهوي النفوس الشاعرات بمنظرها الجذابة ، وصورها الآسرة ،
وتجبرها على الكلام بأسانها ، والإشادة بذكورها والتفخي بحاسنها .

-
- (١) آتاك : وافك ، والأبيات في الديوان ص ٢١٢ — ٢١٣ . (٢) انشبت : سكر .
(٣) النض : السبي الخلق . والوبد : اليب وسوء الحال . والبيتان في الديوان ص ١١٢ .
ونمت الحرة في الصفحات : ٣ — ٢ ، ٣٠ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ٢٣٥ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ .
٣٨١ — ٣٨٢ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٣ . (٤) يرثي حسان الملك النساني
الحارث بن أبي شمر الذي قتل في حرب كانت بينه وبين المناذرة . (٥) الجذم : الأصل .
واسترخاء حائل السيف : كناية عن الرقة . لا يُبغقون : لا يُستقون مسا . وآبوا : عادوا
ورجوا إلى منازلهم . (٦) يُذادون : يُدفعون ويُطردون . محرراً عيونهم : كناية عن
غضبهم من الطرد . وتُخضر : خضر ، والقتل هنا ميني للمجهول . (٧) شيب : مزج .
والعقار : الخمر . والكوب وجهها أكواب : القدح لا عروة له . وفي الثانية إقواء .

ومن غريب النفس الإنسانية المرحفة أن يهتز فيها حتى الجمال لكل هذه المشاهد : سواء فيها المتع والموجع ، والفاحك والعايب ، والصاخب والعات ، والمشرق والرائع .
ولقد عرض لحسان ، في رحلاته الكثيرة المتصلة ، كثير من هذه الصور التي حركت في قلبه أوتار الفن وغمرته بروعة الجمال . لكنه لم يصف منها ، في شعره ، إلا التي حملته عليها المناسبات .
أشهر هذه المناسبات الغزل . فلقد حمله على التأني في وصف الأطلال ومخاطبتها ، ووصف المطر التي جادت عليها وسقتها ، ووصف رحيل النوم ، من بعد ذلك ، إلى المشي وما خلف في قلبه من ألم ولوعة ، ووصف الليل الطويل البطيء النجوم :

١- لقد هاج نفسك أشجانها وطاودها اليوم أديانها^(١)
تذكرت ليلى وأنى لها إذا قطعت منك أقرانها^(٢)
وتجمل في الدار غربانها وخف من الدار سكانها^(٣)
وغدوها معصرات الربا حـ وضح الجنوب وتمتاتها^(٤)
حياة من العين تمشي بها وتنبعها شـم غزلانها^(٥)
وقفت عليها فساءلتها وقد ظمن الحبي ، ما شأنها^(٦)
فعبت وجاوبني دونها بما راع قلبي أعوانها^(٧)

* * *

٢- وإذ هي حوراء المدام ترتني بتمدفع الوادي أراكاً منظماً^(٨)

(١) الدين هنا : العادة . والجمع أديان . (٢) الأقران جمع قرن : وهو الجبل .
(٣) جبل : سار كالجبل . وخف : ارتحل مسرعاً . (٤) المعصرات : الرياح التي تأتي بالأمصار . والتنهان : التهمال وتزول المطر . (٥) المهاة : البقرة الوحشية . والعين : بقر الوحش . (٦) ظن : رحل . (٧) عيت : عجزت عن الكلام . وراع : أخاف .
والآيات في الديوان ص خ - م . قالها حسان لما أبصر محبوبته في دارها مع أزهارها ، وقد ظن قوماً (٨) حور العين : شدة ياض يياضها وشدة سواد سوادها . وتمدفع الوادي : حيث يندفع السيل . والأراك : شجر . والمنظم : المنتظم في خطوط .

أقامت به بالصيف حتى بدا لها نشأ من ، إذا هبت له الريح أرزما^(١)
وقد أل من أعضاده ودنا له من الأرض دان جزوه فتحة سما^(٢)
تحن مطافيل الرباع خلاله إذا استن في حافات البرق أنجما^(٣)
وكاد بأكتاف العقيق ويده يحط من الجماء ركنًا ملحمًا^(٤)
فلما علا ترابان وانهل ودقه تداعي وألقى بوقه وتهزما^(٥)
وأصبح منه كل مدفع قلعة يكب الأعضاء عليه ما قصرما^(٦)
تنادوا بليل فاستقلت محولم وعالين أنماط المدر قل المرقما^(٧)
وأبقت لما قوس الحى خيهمهم يرويات بين تترك الرأس أشبها^(٨)
وأسمك الداعي الفصيح بفرقة وقد جتحت شمس النهار لغربا^(٩)
وبين في صوت الغراب اغترابهم عشية أوفى غصن بان فطربا^(١٠)
وفي الطير بالهيا إذرعت لنا وما الطير إلا أن تمر وتنعبا^(١١)
وكدت غداة الدين في الهوى أعالج نفسي أن أقوم فأركبا^(١٢)

(١) النشأ : الدعا . وأزم : أريد . (٢) أل : برق . والأعصاد : النواحي .
والجوز : الوسط . ونعم : ود : الصوت . (٣) المطافيل : الإبل معها صغارها . والرباع :
بحر ربيع : وهو القصير ينتج في الربيع . استن : حلق وانطرب : وأنجم : سال .
(٤) الكنف : الجانب وجهه أكتاف . والعقيق : واد يثرب . والوئيد : الصوت الشديد
والجماء : موضع في المدينة . والملد : المستمر لجموع جفنه إلى جفنه . (٥) زمان : موضع
والودق : المطر . وتداعي : تصدع وانثر . وتهزم الرعد : صوته . (٦) التلعة :
ما ارتفع من الأرض . والعناء : ما عظم من شجر الشوك . وقصرم : اقطع . (٧) استقلت
محولم : رحلوا . والأنماط : الأنواع . والمدر : نوع من الثياب . والمرقم : الموشى
والأبيات في الديوان من ٣٦٧ — ٣٦٨ . (٨) قوس : هدة . والروعة : الحوف .
والين : الفراق . (٩) الداعي : المنادي . وجتحت : مات . (١٠) أوفى : أتى .
والغراب : نعب . (١١) تعب : قصوت كالغراب . (١٢) غداة الين : صباح الفرقة .
والأبيات في الديوان من : ١٩ .

٤ - تطاول بالثمان ليلي فلم تكن بهم هوادي فجمه أن تصوباً^(١)
أبيت أراعيها كافي موكل^(٢) بها ، لا أريد النوم حتى تغيباً^(٣)
إذا غار منها كوكب بعد كوكب^(٤) ترائب عيني آخر الليل كوكبا^(٥)
غوائر تترى من نجوم تخالها مع الصبح تلوها زواحف لغبا^(٦)

ومن المناسبات التي حملت حسان على الوصف أيضاً ذكره الحياة النعيم التي أحبها وعشقها ، فكأنه خاف عليها أردية الماضي الثقيلة ، ووديان النسيان السحيقة ، فسعى في صوغها في ألفاظ ، وتجميلها في عبارات ، وتخليدها رغم أنف الزمان . هذه الذكري هي التي دعت به إلى وصف خروجه للعيد (الديوان ص ٢٣٦ - ٢٣٧) ونعيم يثرب وميامها وأشجارها ، وعيد الفصح في قصور الفساسة :

١ - لنا حرة ماطورة يجبالها بنى الحمد فيها بيته فتأهلاً^(١)
بها النخل والآطام بتجري خلاها جداول قد تملو رفاقاً وجرولاً^(٢)
إذا جدول منها نصرتم ماؤه وصلنا إليه بالنواضع جدولاً^(٣)
على كل مفهاق خسيف غروبها تنفر غ في حوض من الصخر أنجلاً^(٤)
له غل في ظل كل حديقة يعارض يعبوا من الماء سلسلاً^(٥)

(١) الثمان : موضع . وهوادي النجوم : أوائلها . تصوب : تمحدر وتغرب . (٢) أصلها تنيب . (٣) غار : غاب . (٤) جم النائر غوائر . والزواحف : الأبل التبة . واللاغب : الشديد التعب والجهد . لنب . والأيات في الديوان ص ١٨ . (٥) الحرة : الأرض ذات الحجارة الكثيرة السوداء . والماطورة : المحوطة . وتأهل : اتخذ أهلاً . (٦) الآطام : الحصون ، مفردا ، أطم . والرفاق : الأرض المستوية . والجرول ، الموضم الكثير الحجارة (٧) النواضع : الأبل التي يستقي عليها واحدها ناضح . (٨) المفهاق : البئر الكثيرة الماء . والخفيف : البئر تنفر في الحجارة فلا يتعلم ماؤها . والغرب : الدلو العظيمة . والآنجل ، الواسم . (٩) الغل : الماء الذي يجري بين الأشجار . واليعوب ، النهر الشديد الجري . والسلسل ، الجاري . والتصيد في الديوان ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

٢- قد دنا النصح فالولائد ينظم نـ مراعاةً أكلة المرجان^(١)

يحتنين الجادي في قلب الريد طـ عليها مجاهد الكتان^(٢)

لم يطلن بالمقافو والصـ غـ ولا تقفـ تحنظل الشربان^(٣)

ذاك مغنى من آكل جفنة في الدهـ رـ، وحتى تعاقب الأزمان^(٤)

وكان الفخر أيضاً من جملة المناسبات التي طرقت لحسان إلى الوصف

فهو الذي دعاه إلى وصف شعره وبيان أثره في الناس ؛ وهو الذي جعله يطيل

في نعمت نعم يثرب الذي سبق ذكره ، وبعيده في القصائد الأخرى :

لكل أناس ميسم يعرفونه ويسمنا فينا القوافي الأوابد^(٥)

مضى ما نسم لا ينكر الناس وسمنا ونعرف به المجهول بمن نكاهد^(٦)

تلوح به ، تشو إليه وسمنا كما لاح في سمر المتان الموارد^(٧)

فيشقين من لا يستطيع شفاؤه وبقين ما تبقى الجبال الخوالد

ويشقين من بغتالنا بعداوة ويسعدن في الدنيا بنامن نساعد

إذا ما كسرنا رمح رابة شاعر يجيش بنا ما عندنا فتعاود^(٨)

كان حسان قادراً على الوصف وعلى النظرة الحائبة التي تقع من الصورة على

الخطوط الرئيسة والإشارات الدوال . إلا أن هذه الخطوط والإشارات لا ترد

(١) الولائد جمع وليدة : وهي الجارية الصغيرة الحساء . والأكلة جمع إكليل .

(٢) الجادي : الرغفران . والقب جمع قبة : وهي ثوب كالأزار يشد كما تشد السراويل .

والربط : الثياب اللينة . والمجاهد جمع محمد : وهو القميم . (٣) علاه : شفه ولهاه .

والمقافو جمع مقفور : وهو صمغ يسيل من التمام . وقفـ الحنظل : كره لاستخراج ما فيه .

والشربان : شجر . (٤) المغنى : المنزل . والأبيات في الديوان ص ٢١٥ .

(٥) الميسم : أداة الوسم أو أثره . والقوافي : القصائد . والأوابد : الحوادث .

(٦) أي تقين من كابدناه ونحن لا نمره . (٧) تلوح : تظهر . وتشو : قصد .

والتان جمع تمن : وهو المرتفع من الأرض . والموارد : الطرق . (٨) يجيش : يضطرب .

ويشور . والأبيات في الديوان ص ١١٨ — ١١٩ .

كلها في بعض الأحيان ، فتأتي الصورة محبة محبة ، كما هو الأمر في صفة عيد النصح ، وقد تماقت هذه الصور كثيرة سريعة ، فلا تكاد تترأى . ملاحظ الأولى حتى تلوحا الثانية انى لا تكاد ترسم حتى تطمسها الثالثة ثم تُفسحها الرابعة وهكذا ذوالبك ، وينتهي القارىء من الوصف ولم تتكون في ذهنه صورة واضحة عن الموصوف ، ولم يرتو في نفسه هذا التعطش الذي الذي أوجده تلك البدايات المغريات . ففي وصف المطر مثلاً يشرع في تصوير لمعة البرق من خلال السحب ، وقبل ان يروي غلة القارىء ، ينتقل الى وصف أهذاب الغيوم ، ليطفر منها طغراً الى ذكر اسوداد لونها ، ثم يشبه ، من بعد ذلك ، صوت الرعود بحنين المطافيل ، ولا يكاد يشرع في خط هذا التشبيه الجميل حتى يتذكر ليقول إن انصباب الغيث يلو خفقة البرق .

وقد بدأ حسان التصوير بتفحة شربة رائحة ، ثم لا يسر فيه قليلاً حتى يخذ هذا النفس القوي ، وتعد تلك الرنة الموسيقية الفخمة ، فيظل أبتر فاسداً لا تغني فيه الخطر المضطربة والصور الضعيفة التي جعلت لتامه :

١ - ونحن ، إذا ما الحرب محل مررهما وجادت على حلاب بالموت والدم^(١)
ولم يروج إلا كل أزوع واحد شديد القى ذي عزة ونكرم
نكون مام القاندين إلى ارغى إذا الغشيل الرعيد لم يتقدم^(٢)
والغشيل الرعيد لا يتقدم في معركة ، بالغة ما بالفت من السهولة وضعف
الشان . أنهم في مثاها يكون وقومه إلى الوغى قاندين ؟

٢ وإنا إذا ما الأتق أسمى كأنما على حافتيه ، ممسكاً ، لون عتدم^(٣)
أنطعم في المثنى ونطعن بالثنا إذا الحرب عادت كالخربق المضرم^(٤)

(١) الصرار : خيط يند فوق خلاب الناقة لئلا يرضها ولدها . (٢) الديوان ص ٣٩٦

(٣) الندم : صبغ أحمر . (٤) الديوان ص ٣٩٦

الفخر

إن كانت طبيعة حسان الاجتماعية تدفعه إلى مجالس الأنس والمرح ،
فلقد كانت طبيعته الفطرية تجذبه إلى التبحر والانتخار ، وحب الفخر
غريزة قاهرة في نفس حسان^(١) بلغ من شدتها أنها ملأت شعره وظهرت في كل
غرض من أغراضه . فهو يفتخر إذ ينزل :

ولقد تجالسني فيمنعني ضيق الدراع وعلة الخفر^(٢)

وينعت الخمرة لأنه يظنها فارقاً يميزه وصحبه الكبراء من الأعراب
والعوام ، كما مر عند الكلام عن الخمر . ويصف أثر شعره في المهجوعين
ومشاهد الطبيعة للنوعة ، متى أتاح له الوصف فرصة الزهو والافتخار
كما تقدم في باب الوصف . وسرى بعد أن نسخ الفخر هو الذي كان
يبحث في هجاء حسان ومدحه ورثائه طلاوة الجودة ورونق الحياة .
وزاد هذا الميل الفطري للفخر قوة نسب كرم ومآثر خالدة ، وجاء عند
المؤلف العظيم . ثم وجدت عوامل أخرى مؤاتية نمت هذا الميل وقوته ،
حتى أضحت سمة بارزة لنفس حسان .

أشهر هذه العوامل خموله في المعارك . ولا يستغرب هذا من شاعر
مولع بالحياة^(٣) ؛ وكأنه عيّر بهذا التحول فنفاه عنه وافتخر بقدرته على
الحروب ولا سيما حروب اللسان :

لعمري أليك الخير (يا شعث) ما نبا علي لساني في الخطوب ولا هدي^(٤)
لساني وسيفي حارمان كلامهما وبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي^(٥)

-
- (١) لما هجاه قيس بن الخطيم شاعر الأوس اتهمه بالقدح والصيد (الديوان ص ١٥٥) .
واللقد : شدة الخصومة . والصيد : الزهو والتهيه . (٢) الفخر : الحياة .
(٣) استفاد القرشيون ، حين كانوا يهاجون ، من هذا الأسر ، فالفوا في اختلاق الروايات
المتخلفة عن جنه . راحم أشهر هذه الروايات في الديوان في الصفحتين : ص ١٣٧ .
(٤) نبا السيف : لم يقطع . (٥) المذود : اللسان . والبيتان في الديوان ص ١٣٧ .

ومن هذه العوامل كثرة الخصوم . فلقد كان لشاعرنا في الجاهلية أعداء كثيرون . أبغضه بعضهم لقبيلته وعاداه بعضهم لتكبره وتبوه ؛ ولقد شكوا منهم حسانت في شعره :

وَأَنْ لَمْ يَزَلْ لِي، مِنْذَ أَدْرَكْتُ، كَاشِحٌ^(١) عَدُوِّ أَقَاسِيهِ وَآخِرِ حَامِدٍ^(٢)
فَمَا مِنْهَا إِلَّا وَأَنِّي أَكِيلُهُ بِئِلَّهِ ، مَثَلِينَ أَوْ أَنَا زَائِدٌ^(٣)

فكانه لم يأنس في نفسه القدرة على مساولتهم ، فجهام قليلاً ثم اعتصم بالفخر ؛ وهل الفخر إلا ضرب من حروب الكلام ، يلتزم فيه جانب الدفاع ؟ ولقد ازداد عدد أولئك الخصوم في الإسلام . وملاً عليه القرشيون الآفاق شعراً فزادهم تبهاً وغرأ .

وفي الواقع ، لقد أبدت الإسلامُ غيرةَ حسان بمادة لا يتضرب لها معين . لقد كان قومه الأنصار أول من أعلی شأن الدين ، ونصر سيد المرسلين ؛ ولم يكن لهم ، منذ دخلوا في دين الإسلام ، إلا الثأب المتعالي ، والأيام الغرة ، والوقائع المشهورات . وهكذا جمع أبو عبد الرحمن عزَّ الخاضر إلى مجد الماضي فاقتال على الناس وتاه .

زد على ذلك أن كانت أهاجي بعض القرشيين ، في ذلك العهد ، تنال من الأوس والخزرج ، دون سائر المساحين^(٤) ؛ فكان شاعر الأنصار يدفع عنهم بالهجاء حينئذ ، وبالفخر في أكثر الأحيان .

(١) الكاشح : البغض . (٢) البيتان في الديوان ص ١١٢ .

(٣) قال ضرار بن الخطاب من قصيدة في يوم بدر :

عَجِبْتُ لِفَخْرِ الْأَوْسِ ، وَالْحَيْنِ دَائِرِ عَلَيْهِمْ غَدَاً وَالْدَّهْرِ فِيهِ بِصَائِرُ
وَفَضَّرَ بَنِي التَّجَارِ أَنْ كَانَ مَضَرَّ أُصَيِّبُوا يَدِرُ بِكَلِمٍ ، تَمْ ، صَابِرُ

« سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢٧ ، طبع م م . عبد الحميد » .

كان حسان يفخر بنفسه وبإغزرج والأَنْصار . وكان إذا انتخر بنفسه وصفها بالشجاعة والكرم وانطلاق اللسان ووجود الناصر ، كمادة الجماهيرين ؛ وزاد صفات أخرى تكون له ، في حياته اليومية ، بين إخوانه ونداماه وبني قومه كاختياره للعُشراء وحبّه للسمر والغناء ومكارمة من يكارمه ، وكتثان سر القبيلة وحفظ غيبها ومعاداة أعدائها ، والحياة والعفة وقلة الكلام والصبر على كوارث الأيام :

- ١ - بأبي لي السيفُ واللسان وقو لم يُضاموا كلبدة الأسد
لا أهدش الخدشَ بالنديم ولا يخشى جلبي ، إذا انتشيتُ بدي
ولا نديمي العِضَّ البخيل ولا يخاف جاري ، ماعشتُ ، من وبدي^(١)
- ٢ - فلا المال يُبسيني حينئذٍ وعفي ولا واقعاتُ الدهر يفلنن مذودي
وإني لبدعوني الندى فأجيبه وأضرب بيضَ العارض المتوقد^(٢)
وإني لخلوٌّ ، تعذبني ساردةٌ وإني لترك لما لم أعود^(٣)
- ٣ - فأوما ملكتُ فلا تنكحي ظلومَ العشرة حصادها
وإني عاتبوه على سِرَّةٍ ونابت مبيتهُ زادها^(٤)
- ٤ - فإذا الحوادث ما تُصغيني ولا يضيق بجاجتي صدري
يُعي سقاطي من بوازي إني لعمرك لستُ بالهذر^(٥)
إني أكارم من يكارمني وعلى المكاشح يفتحي ظفري
لا أسرق الشراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرم شعري^(٦)

(١) الديوان ص ١١٢ . (٢) العارض : السحاب المطر . وارض السحاب ييضاً :
أمطر بشدة . والمتوقد : الذي تلمع فيه البرق . ويض هنا : مفعول مطلق . (٣) الديوان
ص ١٢٨ — ١٣٠ . (٤) المرأة : الحالة . والمبيته : المكيدة المدبرة ليلاً . زادها :
هنا زادها شراً . والبيتان في الديوان ص ١٣٩ . (٥) السقاط : الزلّة وهنا ، الهفوات
أو أضف الأشار . والهذر : التثاثر . (٦) الديوان ص ١٣٤ .

- ولا أصالح من عادوا وأخذلهم ولا أغيب لهم يوماً بأوقذاع^(١)
أما غره بالخروج فقد كان كفتخر عامة الجاهليين تمذحاً بالأجساد
لعظام ، والحسب الفاخر القاهر ، والكرم في الجذب والبطش في الحرب ،
وحمل النفس على المكاره وفك العناء ، وتسويد ذي المروة المكلل بالجلال
ولو أعدم^(٢) ، والمعدل في الحكم والترفع عن الخنا وردى الكلام .
ولا يتحيز هذا الفخر من غيره من أقوال شعراء ذلك العصر إلا بهذا
الاندفاع الشديد الذي يلحمه القاري في كل بيت ، وهذا التلذذ بالافتخار
الذي يبلغ به ، أحياناً ، حد الإفراط والتهوس^(٣) :

- ١ - جدي أبو ليلى ووالده عمرو ، وأخوالي بنو كعب
وأنا من القوم الذين إذا أزم الشتاء محالفت الجذب^(٤)
أعطى ذؤاب الإحسان مفسرهم والضاربين بموطن الرعب^(٥)
٢ - فلو يصدقون لأنبؤكم بأننا ذؤاب الحسب القاهر
وأنا مساعير عند الوغى نرد شبا الأبلخ الفاجر^(٦)
ورثت الفعّال وبذل التلا د والمجد عن كابر كابر^(٧)
وحمل الديات وفك العنا ق والعز في الحسب الفاخر^(٨)
٣ - نشدت بني النجار أفعال والذي إذا لم يجد طائر له من يوارعه^(٩)
ألسنا ننص العيس فيه على الوجي إذا نام مولاه ولدت مضاجعه^(١٠)

(١) الإقذاع : القول السيئ الفاحش . والبيت في الديوان ص ٢٥٦ . (٢) أعدم :
افتقر . (٣) التهوس الذي يفسره علم النفس لا كتب اللغة [Ma Manie] (٤) أزمه :
ضنه واشتد عليه . (٥) الديوان ص ٣٣ . (٦) المساعير واحدها مسير : وهو الذي
يشمل الحرب وبه نحى . والشبا مفرد ما شباة : وهي الحد . والأبلخ : المتكبر .
(٧) الفعّال : الأفعال المجيدة . وانلاد : الأولاد الموروثة عن الآباء والأجداد .
(٨) الديوان ص ١٩٦ . (٩) الثاني : الآخر . ويوارعه : يكلله . (١٠) العيس :
كرائم الأبل . ونصها : سرقها بشدة . والوحى : أن يشتكى البعير بأطن خفه فيسير
سيراً خاصاً . ومولى الأسير : هنا ابن عمه .

ولا ننتهي حتى نفكّ كُبُولَهٗ بأموالنا ، والهدى يُحمد صانعه ^(١)
 وأبقى لنا سرَّ الحروب ورزوها سيوفاً وأدراعاً وجمعاً عرماً ^(٢)
 لنا حاضرهم فعمّ وبادٍ كأنه شماريح رضوى عزة ونكرماً ^(٣)
 متى ما تزنا من معدٍ بمصبةٍ وغسان ، نمنع حوضنا أن يهدماً ^(٤)
 ولدنا بني العنقاء وابني مُحَرِّقٍ فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابناً ^(٥)
 نُسَوِّدُ ذا المال القليل إذا بدت مروءته فينا ، وإن كان معدماً ^(٦)
 لنا الجفائن الغرّ يلحن بالضحي وأسيافنا بقطرٍ من نجدٍ دماً ^(٧)
 أبى فعلنا المعروف أن نطلق الخنا وقائلنا بالعرف إلا تكلاً ^(٨)

وافتنجار حسان بالأُنصار يشبه افتخاره بالخروج مضافاً إليه تعداد
 مناقب الأوس ، والتمدح بأنهم جميعاً أول من نصر الرسول ، بعد أن
 أنكرت دعوته قريش ، ونجحت له الأرض ، وأن الله تعالى خصهم بهذا
 الأكرام وبتصديق النبي الداعي إلى الحق ، وأن لهم أبطالاً صناديد ماتوا
 في سبيل الدفاع عن الإسلام :

١ - وكنا ملوك الناس قبل محمد فلما أتى الإسلام كان لنا الفضلُ
 وأكرمنا الله الذي ليس غيره إلهٌ بأيام مضت ما لها شكلُ
 بنصر الإله للنبي بدينه وأكرمنا باسمه نفي ما له مثلُ
 ومنا أمين المسلمين حياته ومن غسلته من جنباته الرسلُ ^(٩)

-
- (١) الديوان ص ٢٦٣ — ٢٦٤ (٢) الرُّزء : المعيبة العظيمة . والمرسم : الكثير .
 (٣) النعم : الكثير المتلى . • والبادي : الماضي . ورَضوى : جبل . وشماريجه : أهاليه .
 (٤) من معدٍ : أي من العدائين . وغسان : الواو لثقم . (٥) العنقاء : هـ ثلبة بن عمرو
 ابن حاصر بن ماء السماء . • ومُحَرِّقٍ هو الحارث بن عمرو . (٦) المديم : التقدير .
 (٧) الجفائن : القصاع الواسعة . والنجد : نصرة المستنجد . (٨) الرف : المعروف .
 والأبيات في الديوان ص ٣٧٠ — ٣٧٢ (٩) أمين الله هو أمين المسلمين سعد بن معاذ
 الأوسي الذي اهتز لموته الرمش . أما خنظلة بن حاصر قتل يوم أحد وغسلته الملائكة .

٢ - ألا أيها السامي ليدرك مجدهنا
 فهل يستوي ماء إن أخضر زاهر
 تناول سهيلاً في السماء فهاته
 لنا جبل يعلو الجبال مشرفاً
 مساميح بالمعروف وسط رحلتنا
 ومن خير حتى تعلمون أسائل
 ومن خير حتى تعلمون لجارهم
 وفينا إذا ما شبت الحرب سادة
 نصرنا وأوبنا النبي وصدفت
 وكنا متى بغز النبي قبيلة
 ويوم قريش إذ أتونا بجمعهم
 وفي أحد يوم لهم كان مخزياً
 ويوم ثقيف إذ أتينا ديارهم
 ففروا وشد الله ركن نبيه
 وإني لسهل للصدق وإنني
 وأجعل مالي دون عرسي وقاية

نأتك العملاء فاربغ عليك فسائل^(١)
 وحسي قطنون ماؤه غير فاضل^(٢)
 ستدركنا إن نلته بالأنامل^(٣)
 فنحن بأعلى فرعه المتطاول^(٤)
 وشباننا بالفحش أنجل باخل
 عفافاً وعان موثق بالسلاسل^(٥)
 إذا اختارهم في الأمن أو في الزلازل^(٦)
 كهول وفتيان طوال الحمايل^(٧)
 أوائلنا بالحقى أول قائل
 نصل حافتيه بالقنا والقنابل^(٨)
 وطئنا العدو وطأة المتثاقيل
 نطاعنهم بالسهمري الذوابل^(٩)
 كتائب غمشي حوفاً بالمناصل^(١٠)
 بكل فتى حامي الحقيقة بأسل^(١١)
 لأعدل رأس الأصم المتمايل^(١٢)
 وأحجبه كي لا يطيب لآكل

- (١) نأتك : أبعدتك . اربغ عليك : اقمداً وابق على حالتك . (٢) الزاهر : الكثير .
 والأخضر : البحر . والحسي : الماء القليل . والقطنون : الذي لا يوثق بآمنه لقلته وفساده .
 (٣) سهيل : نجم في السماء . (٤) فرع الجبل : أطلاه . (٥) الساني : الأسير .
 (٦) الزلازل : أيام الشدة . (٧) حائل السيف : التي يلق بها مفرداً . رحالة .
 وطوال الحمايل كناية عن طول القسامة . (٨) القنبلة : الطاقة من الحيل والناس .
 والجمع : قنابل . (٩) السهمري : الرمح الصلب . والذابل : الرمح الدقيق الود . جمه ذوابل .
 (١٠) المنصل : السيف . جمه مناصل . (١١) حقيقة الرجل : ما يلزمه حفظه ومنه وحايته .
 (١٢) الأصم : المائل العنق تكبراً .

وأي جديد ليس يدركه البلى وأي نعم ليس يوماً جزائل^(١)
 وخلاصة القول أن نثر حسان جيد مطرب ، تنفجر فيه المعاني
 عيون الشعر صائبة ثرارة ، وتنبثق منها التشايبه والخيالات لماعة مستحيلة ،
 ونسبل حلوة مغرية في ثوب من الألفاظ قشيب ، على موسيقى فائقة ،
 فيها هزة ونشاط ، وفيها علو وأريجية ، فيشعر القاريء أن حسان ،
 في هذا الغرض الشعري ، في الميدان الذي يستطيع فيه أن يحول ويصول ،
 ويعرف كيف يقول^(٢) .

المهجاء

يتطلب المهجاء نفساً مظلمة كالصخور ، أرجعت نوايب الدهر ، وجرحت
 كبرياءها مظالم الناس ، فاسودت في عينها الحياة ونقمت على البشر ، فأخذت
 تنسقط عيوبهم ، وتجمع معايرهم ، لتنتقم من بعد ذلك كرهاً دفيناً ولهاً مسموماً
 ومن الواضح البديهي أن لا يجيد حسان هذا النوع من القول في الجاهلية ،
 وهو الذي أحب حياة اللهو والعبث ، ونشد اللذة والسرور في كل مكان .
 فكان إذا اضطر إليه اضطراراً قال فيه الأبيات القليلة لرد الخصوم ، ثم
 فرّ منه إلى الفخر : هذا الضرب الوديع المسالم من المهجاء الذي كان يتقنه
 أشد الإتيان .

(١) الديوان ص ٣١٢ — ٣١٧ .

(٢) النثر في الديوان في الصفحات : ١٧ ، ٣٢ — ٣٣ ، ٥٤ ، ٨٠ — ٨١ ، ٨٧ —

٨٨ ، ١٠٥ — ١٠٦ ، ١١٢ ، ١١٣ — ١١٨ ، ١٢٧ — ١٣٠ ، ١٣٩ — ١٤٠ ،

١٤١ ، ١٥٤ ، ١٥٤ ، ١٧٢ ، ١٨٧ ، ١٩٦ — ١٩٧ ، ٢٠٢ — ٢٠٧ ، ٢٥٦ — ٢٥٧ ،

٢٦٢ — ٢٦٥ ، ٢٨٤ — ٢٨٥ ، ٢٨٦ — ٢٩٠ ، ٣٠٢ — ٣٠٤ ، ٣٠٨ —

٣١٣ ، ٣١٣ — ٣١٦ ، ٣٢٧ — ٣٢٨ ، ٣٣٢ — ٣٣٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ — ٣٥٥ ،

٣٧٠ — ٣٧٢ ، ٣٧٢ — ٣٧٦ ، ٣٧٧ — ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ — ٣٨٦ ، ٣٨٥ —

٣٨٧ ، ٣٩١ — ٣٩٥ ، ٣٩٧ — ٤٠٣ ، ٤١٦ ، ٤٢٥ — ٤٢٩ .

وما غلطنا بشاعر يهجو قيس بن الخطيم بقصيدة فيها عشرة أبيات موحمة ،
فيرد عليه بقصيدة كلها فخر ، وليس فيها إلا ثلاثة أبيات من الهجاء ^(١) ؟
بل ما الرأي في شاعر يطاول الفحول سيف المدح ، يجلس عمرو بن الحارث
الفسافي ، ثم يذهب إلى الخفساء التي لم تعد المهجو ، ويرجوها أن تعينه على هجاء
قيس بن الخطيم فتأبى كل الإباء ^(٢) ؟

ظل حسان لا يعني بالهجاء حتى انقضى عهد الجاهلية ، وانقضت معه حياة
اللهو واللعب ، وأسلم وندب نفسه للدفاع عن الإسلام ، فهاجم الكفار وأنقلوا
عليه الشتم والسباب ، وأفحشوا له ولقومه بالقول ، وتسقطوا مثالبه وقعدوا له
كل سرّ صد ، وحملوه على العناية بالمهجو حملاً .

ولقد أعانته على التوفيق في هذه الحرب الفاضحة التي لم يعتمد خوضها ،
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، الذي كان يبدله على مثالب القرشيين ومقامز
أنسابهم ، فيصورها حسان تصويراً شعرياً ، وينظمها في وزن ، وبقيت بها
وجوه الأعداء فيشتفي ويشفي ^(٣) .

كان هذا الفن الجديد في شعره يعتمد : (أ) على ذكر معائب الكفار
ومناقضهم ، وإسناد القبيح إليهم (ب) وعلى ذكر الكلمات البذيئات والمعاني
المنحجلة للمهجوين . (ج) وعلى الإضحاك والسخرية . (د) وعلى الدفاع عن
الأنصار بالتباهي والافتخار .

أ . ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواه ^(٤)
بأن سيفونا تركتك عداء وعبد الدار سادتها الإماء ^(٥)

(١) الديوان ص ١٢٧ - ١٣٢ . قال قيس « في قصيدته » :

إذا المرء لم يفضّل ولم يلق نجدة مع القوم فليقعد مصغر ويمعد

(٢) الأغاني ج ٢ ص ١٦٣ . (٣) كما قال عليه الصلاة والسلام . (٤) الأجنوف :

الحالي الجوف من القلب . ومثله النخب والهواء . (٥) عبد الدار بطل من قريش كانوا

يحملون الراية في أحد . فلما قتل حامياها تناقلها بينهم أبطال منهم كثيرون ، فتلوا جياً فأخذها
بعد لهم أسود .

- ٢- يا حار إن كنتَ اسراً متوسماً
أجمعتُ أنك أنتَ الأَم من مشى
وكذلك ورثك الأولاءُ أنهم
فورنت والدك الحيانة والخصا
وأبان لؤمك أن أمك لم تكن
٣- يا آل سهم فإني قد نصحت لكم
ألا ترون بأني قد ظلمت إذا
كم من كرم بعض الكلب منزله
ثم يفور إذا ألقمته الحجر (٦)

ب -

- ١- قال يهجو قوماً من مزينة حين سرت بجلسم فضحك منه بعضهم
أبوك أبوك وأنتَ ابنه فبئس البني وبئس الأب
وأملك سوداء نوبية كأت أنامها الحنظب (٧)
إذا سمعوا النغي آدوا له تيموس تذب إذا قُصرب (٨)
تري التيس عديم كالجوا در بل التيس وسطهم أنجب
فلا تدعهم لقراع الكماء وناد إلى سواة يركبوا (٩)

(١) المتوسع : ذو الثروة . الألى : أولئك (النسوة) اللواتي . وينص : يخدم .
وجناب : هو اس عبد الله الكلي . (٢) ذَوُلُ الغراب : مشيته الخاصة به . (٣) الحنا :
الفخس في الكلام . (٤) المقاروف : المقارب للدينة . والآيات في الديوان ص ٥٩ - ٦١
(٥) عبد الله بن الزمري شاعر حاجي المسلمين ثم أسلم بعد الفتح . وثابت : أبو حسان .
الخطر : الشأن و (الأهمية) . (٦) المتزدر : الإهذار . والآيات في الديوان ص ٢٢٥
(٧) الثوب : الثوم من السودان والحنظب : ضرب من الخنافس . (٨) آدوا : حادوا
واجتمعوا . تذب : تصيح . (٩) الكماء : جمع كمي : وهو الفارس التام السلاح .
والسواة : الأمر الي . والآيات في الديوان ص ٦٥ - ٦٢ .

- ٢ - أما الجماس فاني غدر شاتمهم
 كأن ريجهم في الساس، إذ برزوا
 أولاد حامٍ فلن تلقى لهم شهباً
 إن سابقوا صُبقوا، أو نافروا نُفروا
 شبه الإمام، فلا دين ولا حسب
 تلقى الجمامي لا يمنعك حرمنه
- ٣ - لو خُلق اللوم إنساناً يكلمهم
 تبكي القبور إذا مات ميتهم
 مثل القناذل تخزي أن تفاجئها
- د - لقد خاب قوم غاب عنهم فيهم
 ترحل عن قوم فضلت عقولهم
 هدام به بعد الضلالة دهم
 وهل يستوي ضلال قوم تسفوها
 لقد نزلت منه على أهل يثرب
- لام كرام ولا عرضي لم خطر
 ريج الكلاب إذا ما باها المطر
 إلا التيوس على أكتافها الشعر^(١)
 أو كاثروا أحداً من غدرهم كُثروا^(٢)
 لوقا مروا الزنج عن أحسابهم قُروا^(٣)
 شبه النبط، إذا استعبدتهم صبروا^(٤)
- لكان غدر هذبل حين تأنيها
 حتى يهيج بمن في الأرض داعيها
 شد النهار، وبُقي الليل سارها^(٥)
 وقُدس من يسري إليهم ويقتدي^(٦)
 وحل على قوم بنور مجد
 وأرشد من ينبع الحق يرشد
 عمي، وهداة يهتدون بهتد
 ركاب هدى حلت عليهم بأسد^(٧)

لا شك أن حسان لم يسيطر على أدغال الهجو الرهيبة سيطرة معاصره
 الضاري أبي مليكة جرول، لأنه لم يخفق له بالفطرة، ولأن المجال الذي كان
 يجول فيه، وهو يهجو الكفار من بيت الرسول، كثر المهاوي والمزالق،

(١) حام بن نوح : جد السودان . (٢) نافره : فاخره في الحسب والنسب .
 (٣) الإمام : الجوارى . مفردا : أمة . وقاسمه : راحته ولاعبه في القمار . وقره : غلبه
 في القمار . (٤) النبط : قوم سكنوا الشام . (٥) شد النهار : طوله واستداده وهي
 هنا منصوبة على الظرفية . (٦) يسري إليهم : يسير ليلاً . ويقتدي : يسير صباحاً في التداة .
 (٧) السعد : اليمن . وضده : النحس . والجمع أسد . والأبيات في الديوان ص ٨٧-٨٨

ولأنه كان يُضطر أحياناً إلى هجاء أقوام لم يعرفهم ، ولم يتأذ منهم ، ولأن
الاعتماد على الخنا والكلام الرذل مما يضعف الهجاء ^(١) .
ومما يمكن من أمر فلقد هجا حسان وأوجع ^(٢) ، وثبت للمشركين ورد
أقوالهم المأخوذة في نخورهم ؛ وكان شعره - كما قال عليه السلام - أشد
عليهم من وقع السهام في قبحش الظلام ^(٣) .

المدح

كان العربي ، قبل الإسلام ، يفتخر متى شاء امتداح نفسه وقبيلته ؛
وكانت الذممة القبلية والعصبية الجاهلية تخرجزان الشعراء عن مدح سادة
القبائل الأخرى . ولم يتخذ المدح سبيلاً للكسب إلا الشعراء الذين
غلب حبهم للجمع على تعلقهم بقومهم كالأعشى والحطيئة ؛ فطوفوا في
الآفاق ، ومدحوا الملوك والزؤساء ، وجنوا من وراء ذلك ما استطاعوا

[١] لعل القاريه . ينتظر أن تد كبر سن الشاعر شيئاً خامساً . والحق أنه ، وإن كان
يصر النفس ، ويضيق على صاحبه المذاهب ، يكسب الشاعر النظرة المنقصة الناقدة ،
والثقة على الدنيا والناس الميتين على الهجاء . [٢] كان بنو عبد المदान يفتخرون ببسطة
الجسم إلى أن تعرض أهد شعرائهم لجسان هجاء بقصيدة منها :

لا بأس بالقوم من طول ومن قصر جسم البغال وأحلام الصافير
فأفسد افتخارهم عليهم ، فجاؤوه معتذرين ، فرضي عنهم ومدحهم بقوله :
وقد كنا نقول إذا رأينا لذي جسم 'يمد' وذئ يان
كأنك أيها المطي لساناً وجباً من بني عبد المदान

٣ هجاء حسان في الديوان ص ٧ - ٨ - ١٢ - ١٣ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ -

أن يجنوه من خير ومال^(١) . وقد روت الرواة أن النابغة الذبياني من الأشراف الذين غصّ المدح من شأنهم . لذا لم يُعنَ حسان بهذا الغرض في الجاهلية عناية كبيرة ، كما يتوهم بعض الناس ؛ ولولا حبه لحياة القصور وقرايته للفحاسة التي تُدني مديحه من الفخر لما مدحهم بلاميته المشهورة التي أسماها عمرو بن الحارث البتارة التي بنرت كل المدائح :

أسأت رسم الدار أم لم تسأل	بين الجوابي فالبُضَيْع فحومَل ^(٢)
دار لقوم قد أرام مرة	فوق الأعزة ، عزّهم لم يُنقل
لله درّ عصابة تادمتهم	يوماً يجلّق في الزمان الأول ^(٣)
يمشون في الحُلّ المضاعف نسجها	مشيَ الجلال إلى الجلال البزل ^(٤)
الضاربون الكبش يبرق بيضه	ضرباً يُطبع له بَنان المُفَصِّل ^(٥)
والخالطون لغيرهم بغنيهم	والمنعمون على الضعيف المُرْوِل ^(٦)
أولادُ جَنَّةٍ حول قبر أبيهم	قبر ابن مارية الكريم المُفْضِل ^(٧)
يُغشون حتى ماتهم كلاهم	لا يسألون عن السواد المُقْبِل ^(٨)
يسقون من وَرْد البريص طيهم	يردى يُصَفّق بالرحيق السَليل ^(٩)
يبضُ الوجوه كريمةً أحسابهم	شُمُّ الأنوف من الطراز الأول ^(١٠)
نسي أصيل في الكرام ومذودي	تكوي بيارسمه جُنبوب المصطلي ^(١١)

- (١) المال هنا : الإبل والتم . (٢) الجوابي والبُضَيْع وحومَل مواضع في الشام .
 (٣) العصابة : الجماعة ، جُلوس : دمشق . (٤) المضاعف نسجها : البطنة . والبازل : البعير إذا بلغ الثامنة من عمره واستكمل . والمخ بزل : (٥) الكبش : رئيس القوم .
 والبُيض جمع بيضة وهي الحُرْقة . أطاح : أدهم . والفصل : هنا اليد . (٦) المرمِل : اللاصق بالرمل لقره . (٧) جَنَّة س عمرو : أبو ملوك غسان . (٨) يُغشون : يقصدون . (٩) البريص : قصر . يُصَفّق : يمزج . (١٠) الشم في الحقيقة : ارتقاع في قصة الأنف . وفي المجاز الأفة والعزة . والطراز النوع والشكل .
 (١١) المباسم ج ميسم : حديدة يُكوي بها . والمصطلي : القارب للنار .

ولقد تقلدنا العشرة أصرها ونسود يوم الدائبات ونعتلي
ويسود سيدنا ججاجع سادة^(١) ويُصيبُ قائلنا سواء المفضل^(٢)
وتزور أبواب الملوك ركا بنا ومتى نُحكّم في البرية نعدّل^(٣)
فلما جاء الإسلام اتصل فخر حسان المزداد بالمدح والمجاء قوي مدحه
كما قوي هجاؤه ، وأصبح يقول القصائد في مدح الرسول وأبطال المسلمين :
قال يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام :

١- وأحسنُ منك لَمْ تَرَ قَطُّ عيني وأجلُ منك لَمْ تَلِدِ النساءِ
خُلِقْتَ مُبرأً من كلِّ عيبٍ كأنك قد خُلِقْتَ كما أنشأ^(٤)
٢- متى بيد في الداجي الهمم جبينه يُلح مثل مصباح الدجى المنوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد نظاماً لحقٍ أو نكالا للمُجد^(٥)
وقال يمدح أبا بكر الصديق :

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
القالي الثاني المحمود شيمته وأول الناس طراً صدق الرسل^(٦)
والثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبل^(٧)
وكان حب رسول الله ، قد علموا من البرية ، لم يعدل به رجلا^(٨)
خير البرية أنفاها وأرفها بعد النبي وأوفها بما حملا^(٩)
لكن كل هذه الأماديج ، بالنسبة إلى كثرة الشعر المروي لحسان ،

(١) الججاجع : السادة - وإصابة سواء الفصل كناية من إصابة الفرض وبلوغ القصد
(٢) القصبة في الديوان ص ٣٠٧ - ٣١٢ (٣) الديوان ص ١٠ (٤) النكال :
العقاب : يكون صرة للآخرين . واليتان في الديوان ص ١٠١ (٥) الشية : الطبع
والسجية (٦) النيف : المرتقم (٧) الحب : المحبوب (٨) الديوان

قليلة لا تنفع مدى . وهي — كما نرى — ليست كلها من جيد القول ؛ لأن شاعرنا ، في هذا الباب ، في المجاء ، لا يبيد الكلام إلا إذا وجد فيه سبيلاً للانتخار ؛ فإن كانت عينه التي أسمعها وقد نغم جيدة حقاً نعمة حقاً فذلك لأنها مدح للرسول وآله ، وغفر بالأنصار :

إن الدوائب من فهور وإخوتهم	قد بينوا سنة للناس ^(١) تتبع
يرضى بها كل من كانت سريره	نقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا ^(٢)
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم	أو حاولوا الدفع في أشياعهم نفعوا ^(٣)
سجدة تلك فيهم غير محدثة	إن الخلائق فاعلم : شرها البدع ^(٤)
لا يرفع الناس ما أوتى أكفهم	عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا ^(٥)
إن كان في الناس سباقون بعدم	فكل سبق لا دنى سبقهم تبع ^(٦)
لا يجولون ، وإن حاولت جهلهم	في فضل أحلامهم عن ذاك متبع ^(٧)
أعنة ذكرت في الوحي عفتهم	لا يطبعون ولا يرددهم الطمع ^(٨)
أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم	فما وفي نصرهم عنه وما نزعوا ^(٩)
خذ منهم ما أتي عفواً إذا غضبوا	ولا يكن همك الأمر الذي منعوا ^(١٠)
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم	إذا تفرقت الأهواء والشيع ^(١١)

(١) ذؤابة : كل شيء أعلاه والجمع ذؤائب . والسنة : الطريقة . (٢) السريرة : البية . وشرعوا : بينوا . (٣) الأشياع جمع شيع : الأنصار . (٤) الخلائق مفرداً خليفة : وهي الطبيعة . والبدع مفرداً بدعة : وهي الأمر الجديد المستحدث . (٥) أوتي : أُنعم . (٦) الأذى : الأذى والأيذاء عن سبق . (٧) الفضل : زيادة . والمهل هنا ضد الصلاح والرشاد . (٨) لا يطبعون : لا يخلون ما يندسهم . ويؤدي : يهلك . (٩) البر : الخير والإحسان . وفي : ضعف . وترع هنا : كف وانتهى . (١٠) الذي منعه . حذف العائد . (١١) الشيع : الناصر . تقع على المفرد والثني والجمع والمذكر والمؤنث واحد .

وإذا لم يمدِّ الفخرُ مدحَ حسان بجائه وروقه جاءت أماديجها جافةً ضميعةً ،
تُترصف فيها الصفات الحسنة رصفاً ، ثم تُجمع في كلام موزون مقفى دون
أن يُجمل لها ما ينوِّرها ويُسيغها في الأذواق ؛ أو يهوِّرها ويلوِّتها
ويذهب عن حواشيتها الدُّكنة والظلال . مثال هذا المدح الضعيف ما تقدمه
من قوله في أبي بكر . وهناك أمثلة أخرى تربنا فضل الصورة في حسن التعبير ؛
منها أن حسان لم يوفق في مدح الرسول حين قال :

واللهِ ربي ، لا تُفارق ماجداً عَفَا الخليفة ماجداً الأجماد^(١)
لكنه وفق في قول فيه :

له وَتَبَّ عال على الناس كلهم نَقاصرُ عنه سِرورة المتطاوِل^(٢)
ولم يأت بالمعجب حين قال مدح عائشة :

مهذَّبةٌ قد طيَّب اللهُ خِيَمَهَا وطهرَها من كل سوء وباطل^(٣)
ولكنه أحسن في قوله :

حصانٌ وزانٌ ما تُزَنُّ بربية وتُصبح غُرَّتِي من لحوم الغوافِل^(٤)

ولا بد لقاري مدح حسان من التساؤل عن سبب قلة مدائحه في الرسول
إذ لم يرد في دهبانه المطبوع في أربعمئة وثلاثين صفحة متوسطة الكبر
إلا خمسة وأربعون بيتاً في مدح النبي الكريم ، بشاركه في عشرين منها الأنصار
والمهاجرون . أفعرَف في نفسه التقصُّد أم كان الرسول لا يحب هذا الضرب
من الشعر ولا يشجع عليه ؟ وإذا صح ما رواه صاحب جمهرة أشعار العرب
أن النبي ﷺ لما بلغه أن قوماً نازوا من أبي بكر ، صعد المنبر وامتدحه

[١] اللَّبَّ : اللبف . [٢] الرَّتَب : المكان المرتفع . والسورة : النوبة .
والتطاوِل : للتكبر الذي يريد أن يلو على الناس . [٣] الخيم : العظم والسجية .
[٤] الحصان : الناقة . والردان : المرأة الوافرة الوقار . وُزَنَ : نُظِّل . وغرَّتِي : جائحة .
والغوافِل جمع غافلة وهي المرأة البريئة الشريفة لا تقسُّر في شر .

وقال الحسن : هات ما قلتَ فيّ وفي أبي بكر ، فأشدد حسن الأبيات التي تقدمت في مدح الصديق ؛ نقول لو صحت هذه الرواية التي تُرى أن الرسول كان يرضى ، سيفي بعض المناسبات ، بالمدح ، للدعوة للإسلام ورجالاته فإذا يكون عذر حسن ؟

وإذا ذهبنا مذهب القائلين إن الضعيف المتهاون^(١) من شعره في السيد الأمين مدسوس دخيل أوقفنا أبا الحسام في عجز جديد ؛ إذ ما الذي بقي من الخسة والأربعين بيتاً التي قبلت في مدح النبي إن هي خضعت للنقد والتشذيب ؟ لا شك أن المدح لم يكن من طبع حسن ، وإن راض نفسه عليه وكانت له فيه إلاميته الجاهلية وعينيته المحمدية الدماغتان البتارتان . ولعل هذا الأمر من أظهر ما دعا لتقصيره في مدح الرسول عليه السلام .

ولعل هناك داعياً آخر ليس مصدره الشاعر بل نفس القارىء المفتونة بشمائل النبي الطاهرة ، المحلّة لنفسه الكبيرة وأعماله الخارقة المقترة بفضل العليم التي لا ترضى ، في مدحه ، بالقليل ، ولا تقنع ، في وصفه ، بالبعوت التي تصح في غيره من العالمين . فهي أبداً متطلبة للعزید ، لا ترى مدحاً مستطيعاً أن يسمو السمو المطلوب ، وأن يفیه حقه من الثناء والتعجيد . وكأن هذه الحالة النفسية هي التي تجعل القارىء لا يستجيد أيضاً أقوال الشعراء الذي مدحوا الرسول ، في ذاك الزمن ، أمثال كعب بن زهير والأعشى وابن الزبيري^(٢) . وفي الواقع ، لو جعلنا مدائح حسن للنبي مقولة في عربي أو سيد قبيلة لا نعرفه ولا نملك عنه سابق فكرة لشعرنا ، من ساعتنا ، أنها صارت أرضى وقعاً وأشهر أمراً^(٣) .

[١] التهاون : التساقط . [٢] انظر الديوان ص ٣٦٠ - ٣٦١ . [٣] المدح في

الديوان في الصفحات : ٤٨ ، ١٠ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٠١ ، ١٥٣ ، ٢٤٨ ،

٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٥٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ،

وأكثره أبيات أو مقطعات .

الرثاء

الرثاء مدح مشرب بالحزن ، مكفن بالحسرات ، مفسل بالدمع السخين .
والشاعر الذي لا يتقن المدح لا يجيد الرثاء . وحسان ، على كثرة صرائفه
بالإضافة إلى مدائحه ، ليس له قول في التفجع مشهور اللهم إلا أبيات
متفرقة لا يكاد يترأى فيها لمب الحسرة وتكسر الحزن وصدق العاطفة
حتى ينقطع النفس وتخبو روعة الكلام :
قال يرثي الرسول :

- ١ - تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برا الله خلقاً من برته أوفى بذمة جاري أو مبيد^(١)
من الذي كان فينا يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد^(٢)
- ٢ - يا أفضل الناس ! إني كنت في نهر أصبحت منه كمثل المفرد العادي^(٣)
أمنى نسائك عطشان البيوت فما يضر من فوق قفا ستر بأوتاد^(٤)

أو تأتي صورة دخيلة نافرة فتذهب الرغبة في البكاء ، وتفسد رهبة
التصوير ، أو توشك أن تغلب الرثاء إلى شمانية وهجاء .
قال يرثي الرسول أيضاً :

- ١ - لقد غيَّوْا حلماً وعلماً ورحمة عشيّة (عَاوُهُ الْبَرَى لَا بُوسَدَ)
 - ٢ - فليتنا يومَ واروهُ بُلْحَدِهِ وغَيَّبُوهُ (وَأَلْقَوْا فَوْقَهُ الْمَدْرَا)^(٥)
- لم يترك الله منا بعده أحداً ولم يُعِشْ بعده أنثى ولا ذكر

[١] برأ : خلئ . [٢] الديوان ص ٩٩ . [٣] السادي : الطشان .

[٤] لله يقول : لم يعدن يحجن للستر الذي يوضع للنساء في البيوت لاقطاع الزائرين والقاصدين
والأبيات في الديوان ص ١٠٠ . [٥] الملحد : القبر . والمدّر : الطين .

وأكثر مراتي حسان في الرسول وعثمان وأهل مؤنة^(١) وخبيب بن عدي^(٢) وحمزة عم النبي .

أما رثاؤه للرسول فقد كان قوي العاطفة عميق الألم حاطم الأمل ؛ لكنه كان سيئ العرض ، أعم الجرس ، قلق التركيب ، يفسده النفس المنقطع والصور الدخيلات النابيات :

بطيئة رسم الرسول ومهد	مهد ، وقد تغفو الرسوم وتهمد ^(٣)
ولا تمنحي الآيات من دار حرمة	بها منبر الهادي (الذي كان يصعد)
بها شجرات كان ينزل وسطها	من الله نور يستضاء به وقد
عرفت بها رسم الرسول وعمده	وقبراً به (واراه في التراب ملجأ)
ظلمت بها أبكي الرسول فأسعدت	عيون ومثلاها من الجفن تسعد ^(٤)
مفجعة قد شفاها فقد أحمد	فظلمت لآلاء الرسول تعدد ^(٥)
فبوركت بأفقر الرسول وبوركت	بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد ^(٦)
لقد غيَّبوا حلياً وعلماً ورحمة	عشبة (طاؤه الترى لا يوسد ^(٧))

[١] جهز الرسول عليه الصلاة والسلام في السنة الثامنة للهجرة جيشاً ليفتنس من قتلوا رسوله إلى أمير بهري وأسر عليهم زيد بن حارثة وقال لهم : إن أصيب فأمركم جعفر بن أبي طالب فإن أصيب فبهد الله سراً . وكان الجيش ثلاثة آلاف . فوجد الروم في مؤنة وقاتله قتل زيد وجعفر وعبد الله ، فأمره خالد بن الوليد فداوش الأعداء سبعة أيام ثم تهاجز النريقان ونجى خالد جيش المسلمين . [٢] أسر يوم الرقيم وصلبه الكفار . [٣] طيبة : يثرب . وصفا الرسم : بلي وذعب أثره . [٤] أسعدت : أعانت وأمدت . [٥] شفاها : أحزنها وهزلها . والآلاء : النعم . [٦] ثوى : حل . [٧] الترى : التراب . أخذ الكمية معي البيتين قال يرثي الرسول :

فبورك قبر أنت فيه وبوركت به وله أهل بذلك يثرب
لقد غيَّبوا رءاً وحزناً وثلاً عشبة واره الصفيح النصب

وراحوا يحزن لبي فيهم فيهم وقد وهنت منهم ظهوره وأعضد^(١)
 وهل عدلت يوماً رزقة هالك رزية يوم مات فيه محمد^(٢)
 فبكي رسول الله (يا عين) عبوة ! ولا أعرفنك الدهر دمعك يحمّد^(٣)
 وجودي عليه بالدموع وأعزلي لفقد الذي لا مثله الدهر بوجد^(٤)

* * *

كنت السواد لناظري نعمي عليك الناظر
 من شاء بعدك فليمت فليكن ككت أحاذر^(٥)

وأما رثاؤه لعثمان فقد كان يشوبه هجاء القائلين وتهديد^دم والتعريض عليهم
 من صرّ الموت صرفاً لا مزاج له فلبات مأسدة في دار عثمان^(٦)
 بل لمت شعري (ولبت الطير تخبرني) ما كان شأن علي وابن عفا
 ضحى بأشعث عنوان السجود به بقطم الليل تسبيحاً وقرآنا^(٧)
 لنسمن^٨ وشيكاً في دبارم^٩ الله أكبر^{١٠} يا ثارات عثمان^(١١)
 شدوا السيوف (بثني في مناطقكم) حتى يحين بها في الموت من حانا^(١٢)
 لعلكم أن تروا يوماً بمبطل^{١٣} خليفة الله فيكم كالذي كانا^(١٤)

[١] وهنت : ضفت . والعضد : الذراع من المرفق إلى الكتف جمه أعضد .
 [٢] الرزية : المصيبة . [٣] جمد الدمع : انقطع عن الجري . [٤] أهول : رفع
 صوته بالبكاء . والتصيد في الديوان من ٨٩ — ٩٥ . [٥] أخذ المني أبو نواس
 قتال في رثاء الأمين :

وكننت^{١٥} عليه أحذر الموت وحده لم يبق لي شيء عليه أحاذر
 « زهر الآداب ج ٢ من ٢١٤ » . [٦] الأشعث : الذي خالط سواد شعره يابض .
 [٧] وشيكاً : قريباً سريعاً . [٨] المناطق جمع منطق وهو ما يقتطع به . يحين : يهلك
 [٩] المنبطة : النبطة والسرور . يقول : حتى تموتوا وتلقوا في الجنة كما كان أوله يقول :
 حتى يأتيكم خليفة كعثمان في التقوى . والآيات في الديوان من ٩٦٩ .

الفهرس

الصفحة

٣ سيرة

١٢ عمرة

١٣ أقوال النقدة في شعره

١٦ دراسة شعر حسان

١٦ الغزل

٢١ نعت الخمر

٢٣ الوصف

٣٠ الفخر

٣٦ المجاء

٤٠ المدح

٤٦ الرناء

٥٠ أسلوب

٥٣

٤

١- دراسة شعر حسان
٢- دراسة شعر النقدة
٣- دراسة شعر الفخر
٤- دراسة شعر المجاء
٥- دراسة شعر المدح
٦- دراسة شعر الرناء
٧- دراسة شعر أسلوب
٨- دراسة شعر الفخر
٩- دراسة شعر المجاء
١٠- دراسة شعر المدح
١١- دراسة شعر الرناء
١٢- دراسة شعر أسلوب
١٣- دراسة شعر الفخر
١٤- دراسة شعر المجاء
١٥- دراسة شعر المدح
١٦- دراسة شعر الرناء
١٧- دراسة شعر أسلوب
١٨- دراسة شعر الفخر
١٩- دراسة شعر المجاء
٢٠- دراسة شعر المدح
٢١- دراسة شعر الرناء
٢٢- دراسة شعر أسلوب
٢٣- دراسة شعر الفخر
٢٤- دراسة شعر المجاء
٢٥- دراسة شعر المدح
٢٦- دراسة شعر الرناء
٢٧- دراسة شعر أسلوب
٢٨- دراسة شعر الفخر
٢٩- دراسة شعر المجاء
٣٠- دراسة شعر المدح
٣١- دراسة شعر الرناء
٣٢- دراسة شعر أسلوب
٣٣- دراسة شعر الفخر
٣٤- دراسة شعر المجاء
٣٥- دراسة شعر المدح
٣٦- دراسة شعر الرناء
٣٧- دراسة شعر أسلوب
٣٨- دراسة شعر الفخر
٣٩- دراسة شعر المجاء
٤٠- دراسة شعر المدح
٤١- دراسة شعر الرناء
٤٢- دراسة شعر أسلوب
٤٣- دراسة شعر الفخر
٤٤- دراسة شعر المجاء
٤٥- دراسة شعر المدح
٤٦- دراسة شعر الرناء
٤٧- دراسة شعر أسلوب
٤٨- دراسة شعر الفخر
٤٩- دراسة شعر المجاء
٥٠- دراسة شعر المدح
٥١- دراسة شعر الرناء
٥٢- دراسة شعر أسلوب
٥٣- دراسة شعر الفخر
٥٤- دراسة شعر المجاء
٥٥- دراسة شعر المدح
٥٦- دراسة شعر الرناء
٥٧- دراسة شعر أسلوب
٥٨- دراسة شعر الفخر
٥٩- دراسة شعر المجاء
٦٠- دراسة شعر المدح
٦١- دراسة شعر الرناء
٦٢- دراسة شعر أسلوب
٦٣- دراسة شعر الفخر
٦٤- دراسة شعر المجاء
٦٥- دراسة شعر المدح
٦٦- دراسة شعر الرناء
٦٧- دراسة شعر أسلوب
٦٨- دراسة شعر الفخر
٦٩- دراسة شعر المجاء
٧٠- دراسة شعر المدح
٧١- دراسة شعر الرناء
٧٢- دراسة شعر أسلوب
٧٣- دراسة شعر الفخر
٧٤- دراسة شعر المجاء
٧٥- دراسة شعر المدح
٧٦- دراسة شعر الرناء
٧٧- دراسة شعر أسلوب
٧٨- دراسة شعر الفخر
٧٩- دراسة شعر المجاء
٨٠- دراسة شعر المدح
٨١- دراسة شعر الرناء
٨٢- دراسة شعر أسلوب
٨٣- دراسة شعر الفخر
٨٤- دراسة شعر المجاء
٨٥- دراسة شعر المدح
٨٦- دراسة شعر الرناء
٨٧- دراسة شعر أسلوب
٨٨- دراسة شعر الفخر
٨٩- دراسة شعر المجاء
٩٠- دراسة شعر المدح
٩١- دراسة شعر الرناء
٩٢- دراسة شعر أسلوب
٩٣- دراسة شعر الفخر
٩٤- دراسة شعر المجاء
٩٥- دراسة شعر المدح
٩٦- دراسة شعر الرناء
٩٧- دراسة شعر أسلوب
٩٨- دراسة شعر الفخر
٩٩- دراسة شعر المجاء
١٠٠- دراسة شعر المدح

